المشرق

في الحواسّ الباطنة عموما

وفي الحسّ المشترك خصوصًا

بقلم الاب لويس رترڤال اليسوعي

لم نكد نتفرَّغ من ادراج مقالتنا في تواصل الافكار (راجع المشرق ٣: عدد ٢٢) حتى حدَّثتنا النفس بمواصلة السير في ميدان الابحاث الفلسفيَّة بل الاحرى باستيفاء الكلام فيما لم نكن الّا لمَّحنا اليهِ من معرفة حواسنا الباطنة اثناء شرحنا لتواصل التصورات. فمن الظاهر الجلي لكل لبيب ان مقالًا مفردًا في باب من ابواب العلم ايًّا كان لا تعمّ فائدتهُ ما لم يُرجع الى مبادئهِ الاوليَّة ولم يُشفَع بالادلَّة السهلة المأخذ القريبة المتناول

وها نحن نشرع اليوم في انجاز ما رغبت اليهِ النفس وهو الاتيان بابًا بابًا على حقيقة جميع حواسنا الداخليَّة مستهلّين بادناها رتبةً واقلها قدرًا اعني الحس المشترك

١ في تقسيم الحواسّ الباطنة

وقبل الخوض في غوامض المسألة لا نرى بدًّا من ايراد نبذة في تقسيم الحواس الباطنة إزالةً لكل شبهة ورغبة في زيادة الوضوح. امَّا احسن وسيلة لبلوغ اربنا فهو نقل ما كتب القديس توما اللاهوتي في هذا الشأن قال (١:

« لمَّا كانت الطبيعة لا تمنع ضروريًّا وجب ان تكون افعال النفس الحاسَّة بقدر ما يكفي لحياة الحيوان الكامل فما امتنع من هذه الافعال اسنادهُ الى مبدإ واحدٍ فلا بدَّ لهُ من قوى متغايرة.. وحياة الحيوان الكامل تقتضي ان يتصوَّر الشيء لا في

(١) راجع الجزء الاول من الخلاصة اللاهوتيَّة البحث ٧٨ الفصل ٤ من ترجمة السيد المفضال المطران بولس عوَّاد

حضور المحسوس فقط بل في حال غيبته ايضاً والّا لما تحرّك الحيوان لالتماس شيء غائب لان تصوُّرهُ يستتبع حركتهُ. وبطلان هذا واضح خصوصاً في الحيوانات الكاملة التي تتحرّك حركةً تدريجيّةً اذ انّما تتحرك الى غائب متصوَّر. فاذًا يجب ان الحيوان لا يقبل فقط بالنفس الحسّاسة صور المحسوسات (يعني بالمشاعر الخارجيّة والحس المشترك) متى كانت حاضرة بل ان يستثبتها ويحفظها ايضاً (يعني بالخيال او المخيلة). والقبول والحفظ في الجسمانيّات يُسندان الى مبدئين متغايرين ...»

فاذا ضربنا صفحاً عن المشاعر الخارجة ثبت من هذا الكلام العسجدي انّ من الحواسّ الباطنة حاسّتين تقبل احداهما المحسوسات وهي الحس المشترك والثانية تختزنها وهي الخيال. ولكن ألا يحتاج الحيوان الكامل الى اكثر من هاتين آلةً وعدّةً لسدّ حاجاته اليوميّة؟ أفلا يخلّ بكرم الخالق لو ترك الحيوان غير عالم نفعهُ من ضرره لا صارف يصرفهُ عمّا فيه شرُّهُ ولا هادي يهديه الى ما فيه خيرهُ؟ فيا لتعاسة الحمل إلم يفرز بين الشاة التي يستقي منها ينابيع الحياة والذئب الجائع المقبل لخطفه وكسر عظامه وكذلك بؤساً لنا نحن البشر ان كنّا لا نرى خطراً في الحيّة السامّة الملتوية بين الزهور او ان كان منظر صخر منقضّ على رأسنا من علُ لا يُثير فينا ثائر التحفظ الذاتي الى غير ذلك من الامثال التي تدلّ صريحاً على وجود حسّ غير الحواس المارّ ذكرها فشكرًا لفاطر الكائنات وحمداً لباري الموجودات على أنّهُ لم يُهمل صنع عجيبة ولم يمنع عنهُ شيئاً من مقتضيات عيشته لا بل غرز في طبيعة خلائقه الحيّة غريزةً يديه تنبئها بوجود الموافق لصالحها او المخلّ به وترشدها الى دنوّ رسول الخير او زحف العدوّ الحامل المنيّة بين انيابه او مخالبه

امّا الحواس الخارجيّة والحسّ المشترك فليسوا بشيء من هذا القبيل لان الحواسّ انّما تدرك ما يبرز للخارج من لونٍ وصوت الخ. والحسّ المشترك يقرن تلك الحواس بعضها او يفصلها اما الخيال فيحفظها فاين نحن من كشف القناع عن النفع والضرّ والملاءمة والتنافر فتلك لعمري خواصّ ومزايا لا تبدو للعيان ولا تطرق الآذان ولا تؤثر في اللسان بل انها معانٍ لا يستخرجها الّا حسٌّ فُطر لمثل هذا الكشف وجُهّز لاجله وانّ هو الّا القوّة المتوهّمة (١ التي اوثرُ لها اسم «المقدِّرة» او «المخمِّنة» تقرُّباً للفظة

١) قد اخذتنا الحيرة في هذا الموضوع من تباين الكتبة واهل البحث في تسمية الحواس الباطنة

اللاتينيّة (vis æstimativa) الجارية في الاندية العلميـــة

فلنسمع ثانية شمس المدارس لما في مقاله من الصراحة والبيان قال: « ثم لو كان الحيوان انمـا يتحرّك لما في المحسوس من اللذّة والألم لم يجب ان يُثبت في الحيوان الّا تصوّر الصور المدركة بالحس التي يلتذُّ بها او ينفر عنها لكن لا بُدَّ للحيوان من طلب اشياء والهرب عن اشياء ليس لموافقتها او عدم موافقتها للاحساس فقط بل لمنافع او مضارّ اخرى ايضاً كما انَّ الشاة اذا رأت الذئب مقبلًا هربت منهُ ليس لسماجة لونه او شكله بل لكونه عدوًّا طبيعيًّا لهـا او الطير يجمع الهشيم لا لالتذاذ حسّه بل لكونه مفيدًا لتعشيشه . فاذًا لا بُدَّ للحيوان من ان يدرك هذه المعاني التي ليس ينالها الحس الظاهر ولا بُدَّ لهذا الإدراك من مبدإ آخر لان ادراك الصور المحسوسة يحصل عن تأثير حسي بخلاف ادراك المعاني المذكورة. وعلى هـــذا فادراك الصور المحسوسة انّما هو الى الحسّ الخاص والحسّ المشترك . . . واستثبات هذه الصور او حفظها هو الى الخيال . . وتصوُّر المعاني التي لا ينالها الحسّ هو الى الواهمة وحفظها الى القوّة الحافظة التي هي خزانة لهذه المعاني » . فتبيَّن من الكلام ان السابق الحواس الباطنة اربع الحسّ المشترك والقوّة الواهمة او المتوهمة والمخيّلة والحافظة ونحن نكتفي في مقالتنا هذه بتعريف الاولى

٢ في تعريف الحسّ المشترك وبيان خواصّه

هو مشعرٌ باطنيّ اليه تنتهي جميع افعـال الحواسّ الخمس ويُحدُّ ايضاً بانهُ قوّة حسّيّة مركزيّة مستوعبة لتأثيرات المشاعر الخمسة الخارجيّة جامعة لها ومفرزة بينهـا ومتدرة أيّاها فقد لاح من هذا التعريف ان للحس المشترك خواصّ عديدة ذات اهمّية لانهُ بمثابة مركز عامّ تنجذب اليه تأثيرات سائر الحواس فتسرع اليه بعد مرورها بالحواس الخمس وكاني به محطّة كبرى تنتهي اليهـا جميع الاسلاك المتشعبة بين المراحل الثانويّة فلا قرار للقطارات السائرة عليها إلّم تستقرّ في حمى ذاك المجتمع الواسع الشامل . امّا

ومنهم من يدعو الحسّ المشترك بالحسّ العـامّ والمصوّر والقوّة المصوّرة ومنهم من يُلقّب القوّة الحافظة لصور المحسوسات بالخيال او الوهم والمدركة للمعاني الغير الظاهرة بالقوّة المتخيّلة ونحن نرى خصوصاً في هذا الاسم الاخير تشويشاً بيّناً لقرب معنى لفظي الخيال والقوّة المخيّلة فاحينا ان نخصص كل ما اشتق من الخيال كالخيلة والمتخيّلة بما يدعوهُ الافرنج imagination والوهم او القوّة الواهمة او المتوهّمة نطلقهُ على القوّة المقدّرة او المفكّرة estimative, cogitative لان مدلول الوهم الظن والتخمين وما اشبههما

الاسلاك فهي أعصاب الشعور الحاملة لتأثيرات العالم الخارجيّ الى مركز الحس. وهكذا يُستكمل فعل الشعور بحيث يجمع الحيوان شتات محسوساته ويضمّ نشرها

قال العلامة بوسويه: «ممّا يثبت لدينا بالاختبار اليوميّ ان من متفرّقات الطوارق التي تطرق ابواب مشاعرنا قد يُصبح فينا شيء واحد محسوس سيّما عند صدور الطرق من مصدر واحد وعليه فمتى ارى النار ذات لونٍ معلوم واحس بلفحاتها واسمع زفير توقّدها لم اقتصر على هذه افعال الاحساس الثلاثة بل اشعر ان منبع هذه التأثيرات كلها هي النار». فتبيّن من هذا النصّ ما للحسّ المشترك من الفوائد الجليلة في حياة الحيوان فلولاه لكانت عيشتهُ مجموع انفعالات واحساسات دون علاقة معلومة تربطها ببعضها فلا احد ذا بصيرة ألّا ويزكن ما في ذلك من الخلل لتصرّفنا اليوميّ ولاجلى بيان الامر فليتّح لنا ان نتخيّل حالة انسان قد حُرم الحسّ المشترك ولنسبر غور تعاسته في بعض الظروف. فهاك مثلًا رجلًا يصادف مغنّيا يضرب بالعود في وسط جنّة فيحاء قد تأرّج عرف ازهارها الذكيّة في الفضاء. فلا مشاحّة انهُ يتأثّر في اربع من حواسهِ لانهُ يرى المغني وما يحيطهُ من المحاسن الطبيعيّة ثم يسمع صوتهُ ورنّات آلتهِ المطربة ثم يلتذّ في بدنهِ بنسيم الصبا المتلاعب في الاغصان واخيرًا يستنشق رائحة الزهور العطرة فما رأيك فيه ان كان معدمًا الحسّ المشترك أهو سعيدٌ ما بين كل هذه دواعي السرور والهناء. ألا ينقصهُ آلة ثمينة من جهازهِ الانساني. اقول انا انهُ يُعدّ رغمًا عن تنعّم كلّ من حواسهِ على حِدتها اتعس البشر كافةً باعتبار انسانيّته لانهُ يخلو من حاسّة تُعلمهُ انّ الرجل الذي يبصرهُ جاسًا العود هو الذي يسمع صوت ألحانهِ الشجيّة وان الروائح الطيّبة التي يستنشقها هي التي تفوح من اكمام الورد والخزام المائسة ما بين اخضرار النبات الى غير ذلك من الامور المستغربة التي من شأنها ان تجعل حالة هذا المسكين حالة يُرثى لها. فهذه كانت حياتنا كلها لو لم ترزقنا يد الحكيم القدير قوّة داخليّة ترأب وتوحد انفعالات جميع حواسنا حتى تتبيّن لنا علاقة واضحة بين مدركات مشاعرنا على اختلاف افعالها الخاصّة

ولا يظنّن احدٌ اننا جرينا فيما تقدّم مجرى المبالغة او ركبنا جواد التخيُّلات والاوهام كلّا وانّما هو عين الحقّ. وممّا يدعم قولنا في ضرورة هذا الحسّ الكريم وَهن احتجاج من ينكرون وجودهُ فينا لانهم ينسبون التحام احساساتنا وتمييزها امّا للحواس الظاهرة

او للعقل او للضمير المتمثّل اي العائد على افعاله (conscience réflexe)· بيد انهُ لا احد من هذه الثلاثة يفي بالمرام فلم يبقَ الّا التسليم بوجوب آلةٍ اخرى مجهَّزة حقّ التجهيز لما نحن بصددهِ

قلنا اولًا ان المشاعر الخارجيّة لا يمكنها القيام بما نباشرهُ من جمع التأثيرات وافرازها وتقديرها والدليل واضح متبادر حيث كلّ حاسّة من حواسّنا انما تدرك محسوسها الخاصّ فالبصر يميّز الالوان والسمعُ الاصوات الخ· · فمن المستحيل عليها ان تشعر بشيء من مدركات سائر الحواس· فأنّى للعين الشاخصة نحو الانسان ان تقول هذا الاحمرار وهذه الهيئة هما للرجل الذي تعي الاذن صوتَ لهجتهِ على اننا ننفصل المبصر عن المسموع او المشموم اي نفرز بين الابيض والشجي وبين المرّ واليابس ونُحسن نسبة تلك الخواصّ الى موضوع واحدٍ اذا ما انتمت الى واحد ونفرق بينهما اذا رجعت الى كثيرين

هل يكون اذًا العقل البشري هو الجامع لشمل محسوساتنا والقاضي في اتفاقها او في تبايُنها كلّا ثمّ كلّا وقبحًا لتعليم فلسفي ان تصدّى لاثبات مثل هذه القضيّة لان فيها من الفساد والبطلان الفاحش ما تستنكف منهُ النفوس وتأنف مقشعرّةً. فكيف يتسنّى لقوّتنا العقليّة الروحانية العنصر النائفة لجميع اطوار المادّيات والمتصرّفة بين المجرّدات والعموميّات ان تحكم في امر مادّي وخصوصي كنفعل الشعور الحاليّ· نعم على عقلنا ان يأتي بتحديد الحس والاحساس والمحسوس ويستقري كيفيّتها ويبحث في نواميسها لكنهُ من الجهل المُطبق ان يُنسب اليهِ ايّ تداخل كان في استتمام اعمال الشعور

وعليهِ فلم يتبقَّ الّا ان نلتجئ الى الضمير ونعجم عودهُ وهنا لا بُدّ لنا من ايراد تقاسيم الضمير لئلا ينسبنا بعض القرّاء الى الغلوّ والافراط في التمسك بالمبادئ الفلسفيّة القديمة فنقول: ان الضمير لفظة شائعة في اجناس مختلفة تطلق على عدة مسمّيات فاكثرها شيوعًا عند العامّة ما يرد بمعنى الذمّة اعني الضمير الادبي (conscience morale) المفتي في صلاح او فساد اعمالنا الحرّة وهو خارج عن موضوعنا الآن لا نطيل الكلام فيهِ· ومن الضمير ما سُمّي روحيًا بسيكولوجيًا (consc. psychologique) ويُقال لهُ ايضًا الادراك الباطني (perception intime) وهو عبارة عن قوّة توقف

النفس على افعالها وتقلباتها الحاضرة من افكار واحساسات وشماز واعمال اختيارية كافة. وهذه القوة على قسمين باعتبار وجه ادراكها للافعال الداخلية فان وقفت على الاعمال النباتية او الحيوانية او العقلية بفعل مستقيم غير مميّز قيل لها الضمير الابتدائي او المستقيم او الغير الصريح (conscience élémentaire, directe, confuse) وكثيرًا ما وُسمت حينئذٍ بالحس الباطني (sens intime) خصوصاً عند المحدثين (١). اما إن أُطلق سراحها على افعال العقل او على اعمال المركّب الانساني باستعمال الروية والتعقّل اعني بفعل الرجوع والانعكاس قيل لها عندئذ الضمير العائد او المتعقّل (consc. réflexe, réflexion psychologique) وما ذلك الّا الذهن البشري المنطوي على نفسه بفعل اختصّ به دون غيره تعجز عن ابرازه قوة من القوى الحيوانية

فلنأتِ الآن الى ما توخيناه من هذه التفاصيل عن معاني الضمير فان أُريد به معناه الاخير اي الضمير العائد على فعله فنحن ننكر صلاحيّته للنهوض بما ينهض به الحس المشترك ونرفضهُ بتاتًا اذ انهُ لا يفتأ والحالة هذه ان يكون العقل بعينه وقد سبق البرهان على نزاهة هذه القوة السامية من كل اختلاط في اعمال المادة الآلية. اما اذا أُريد بالضمير نوعهُ الاسفل اي الضمير الابتدائي فلا يمكننا ايضاً التسليم بكونه هو الحس المشترك لانّا مهما احتجّ به اشياع هذا الزعم قد نرى في مذهبهم عدة مشاكل تصدّنا عن المصادقة على قولهم وهي: اولًا ان الضمير قوة باطنة صرفة (faculté purement subjective) وعليه ان ملكها ومضمارها انما هي النفس مع ما يعتورها من التغييرات فلا وصول لهُ الى ما خارج عنا البتة ومن ثمّ كيف تصح التسوية بينهُ وبين المشترك الذي دأبهُ ادراك ما هو مختلف عنا والحكم فيه. ثانيًا من المقرّر ان الضمير ليس لهُ آلة لابراز فعله لانهُ ليس هو الّا فعل النفس الحاضرة لذاتها من حيث هي جوهر حائز على حياة حيوانية وعقلية. قال القديس توما: « ان النفس لا تبرح تعقل ذاتها دون تمييز ولا تفكير فيما يخصها بل من حيث هي حاضرة لذاتها (٢) ». اما الحس المشترك فقد اجمعت العلماء على انّ لهُ جهازًا ومركزًا ولو لم يُتّفق عليهما تمامًا. فأرتج من هذا

١) قلنا « كثيرًا » لان هذه التسمية ترادف احيانًا تسمية الضمير اي الادراك الباطني عمومًا مستقيمًا كان او عائدًا

٢) راجع كتابهُ: lib. 2 Sent., dist. 39, q. 1. a. 1

الوجه ايضاً باب كل اختلاط بين الضمير الاولي والحس المشترك

قد بقي علينا ان نبسط الكلام في مقرّ هـذا الحسّ اي آلته الخصوصيَّة دون الآلات الثانويَّة التي هي الحواس الخمس فوددنا لو قال العلم قولهُ الفصل في هذا البحث لكن الامر عكس ذلك لأنَّا نرى المولَّدين من الفلاسفة قد نبذوا رأي الاقدمين في هذا الشأن الّا انهم لم يسندوا نتائجهم الى براهين قاطعة بل الى ادلَّة ترجيحيَّة تبقي بعدُ مجالًا للريب والتنقيب . فهاك مذهب كبير فلاسفة اليونان كما رواهُ آية حكماء العرب . قال الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابهِ في النفس (ف ٧) وهو يذكر ارسطوطاليس : « امَّا سلطان المتصورة (يريد مركز المشترك) ففي التجويف المقدَّم من الدماغ واما سلطان القوَّة المتخيلة ففي التجويف الاوسط واما سلطان القوة الذكرة ففي التجويف المؤخر من الدماغ وامَّا سلطان القوَّة المتوهّمة ففي جميع الدماغ لاسيَّما في حيز التخيلة منهُ » . فيظهر من هذا النصّ ان الاقدمين كانوا يقسمون الدماغ الى ثلاثة اقسام مخصصين اولها للحس المشترك

امَّا المحدثون فمنَّ لهم بعد الامتحانات والفحص المدقّق ان ينقلوا مركز الحس المشترك او بالاحرى ان يوسّعوهُ فجعلوهُ لا في طائفة من الدماغ لكن في طول القطب او الخيط الدماغي الفقاري (l'axe cérébro-spinal) بداعي انَّ اعصاب الشعور لا تُحصر منها في الدماغ فقط بل يكون في النخاع ايضاً (moelle épinière) . فمَّا غلب في رأي الطبيعيين انَّ من المادَّتين المتركب منهما الدماغ والنخاع يكون السهم الاوفر في اعمال الحس المشترك للمادَّة الرماديَّة (substance grise) والله اعلم

هذا ما مكَّننا قصر الباع وضيق المكان من ادراجهِ في شأن اغلظ حواسّنا الباطنة واقربها للظاهرة فرغمًا عن وضيع رتبة هذا الحسّ نظرًا لمقام سائر رُصفائهِ من الحواس الداخليَّة كالمخيلة والذاكرة فقد لاح للمطالع ما ينجم منهُ من الفوائد النفيسة في سلسلة حياتنا . فما قولك اذًا في اولائك المؤلفين الذين لا يرد في تآليفهم ولا ذكر هذه الآلة الكريمة فان كان هذا سهوًا منهم فلا عذر لهم وإن قصدًا « لتأتي مصنَّفاتهم منقَّحة ومجرَّدة من خرافات الاقدمين » كما يهمون فذنبهم اعظم اذ لا يتيسَّر لهم استبدال الحسّ المشترك بشيء من سائر القوى الحيوانية او الانسانيَّة فبئست الخطَّة خطَّتهم

تدبير الصحة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني (تابع لما سبق)

آثار بيروت الجويَّة

الامطار

من جملة امتيازات بيروت الجويَّة ان الفصول فيها مفصَّلة معلومة ولكلّ فصل منها خصائصهُ المميّزة لهُ من هطول الامطار وانحباسها وارتفاع الحرارة وانخفاضها الخ. وعليهِ فترى الصيف تتسلَّط فيهِ الحرارة وتنقطع الامطار قطعيًا في مدَّة شهوره حزيران وتموز وآب ثم يليهِ الخريف وفيهِ يبتدئ المطر تدريجًا فيكون منهُ رشّ وطشّ في اواسط ايلول ثمَّ طلّ ورذاذ في تشرين الاوَّل الى منتصف تشرين الثاني ومن ذاك التاريخ لغاية شباط يصبح المطر هطلًا وتهتانًا ثم يعود رذاذًا عند اقبال الربيع في شهور آذار ونيسان وأيار

ذلك مجمل الاحوال وقد يحصل بعض شذوذ كما رأيت في عامنا الجاري. ومن خواصّ المطر في بيروت ان يكون غزيرًا جودًا كما سبق القول فلا يكاد ينهمل حتى تصير منهُ سيول جارفة تضيق بها الخنادق وتطفو على الشوارع والساحات وهذه لعمري عناية من الطبيعة بالنظر لضيق الاقنية وانحطاطها وعلى ظني لو ان ظروف الطبيعة لم تساعد على دفع الاقذار وجرفها بغزارة الامطار وشدَّة انهمالها لكانت حالة المدينة الصحيَّة سيئة عاطلة برسوب الاوساخ الآسنة وتوفُّرها في القنوات والازقَّة

وممَّا تمتاز بهِ بيروت في أيام الشتاء انهُ بعد ان يكون السحاب اكفهرَّ واطبق والمطر انسكب وانبعق ترى الشمس أشرقت والسماء تألقت كأن لم يكدّر صفاءها غمام ولم يحجب زُهاءها سحاب وهذه المزيَّة غالبة على اقطارنا السوريَّة عمومًا لكنَّها تبدو في بيروت بكل جلاء ولولاها لتعذر تبخير مياه الامطار المتخلّلة في الارض وجدران المساكن وزادت رطوبة الجوّ عمَّا هي فكانت زيادتها وبالًا على صحَّة الافراد والعموم. فتلك عناية ومثلها انتفاء الضباب عن بيروت وعدم وجودهِ على ساحل البحر. انَّما يتكاثف في وادي نهر الكلب فيغشى بكنفهِ ويتصاعد في وادي حمَّانا فيظلِّل صوفر وقد يبتدئ تكاثفهُ في الغالب على مساحة ثمانمائة متر فوق سطح البحر وقد يكون احيانًا في علوّ

ثلاثمائة متر وحينئذٍ لا يتجاوز الستمائة مترًا صعودًا بحيث اذا انتصب المتأمل في اعالي لبنان يرى السهل مجللًا بالضباب تحت قدميهِ بين ان انوار الشمس تسطع حواليهِ. وفي ذلك دليل على برودة الهواء في ارتفاع قريب من بيروت. وقد يشعر الانسان بتلك البرودة شعورًا ظاهرًا اذا كان صاعدًا نحو بيت مري فوقف عند كوع من اكواع الطريق الملتفّ حول الاكمات فيحسّ بنسيم لطيف بارد ينعش قواهُ بعد خمولها بسبب حرّ المدينة

اما معدَّل كميَّة المطر لخمس وعشرين سنة فقد قوَّمها البشير من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٩٧ ثمَّ المشرق الى السنة الجارية فهي ٨٩٤ مليمترًا بمقياس المطر. واعلى درجة بلغها كانت مترًا و٣٠٦ مليمترات في سنة ١٨٧٧ ومترًا و ٢٧٠ م في سنة ١٨٨٣ ومترًا و ٥٣ م في سنة ١٨٩٠. اما ادنى الدرجات فكانت ٥٨٣ مليمترًا لسنة ١٨٨٩. واليك معدَّل قياس المطر لكل شهر على حدةٍ مرتبًا بحسب الزيادة:

الشهر	مليمتر	الشهر	مليمتر
كانون الاوَّل	١٨٦,٧	تشرين الاول	٣٧
كانون الثاني	١٨١,٩	ايار	١٦,٢
شباط	١٥٩,٩	ايلول	١٢,٧
تشرين الثاني	١٤٨,٦	حزيران	٤,٣
آذار	٨٩,٧	تموز وآب	٠,٥
نيسان	٥٥,١		

وربَّ واقف على مقدار المطر السنوي في بيروت يظن انَّ الغمام كثيرٌ في سمائها والمطر متواصل الانهمال فيها انما الامر ليس كذلك فانَّ هذه الكميَّات الغزيرة تتوزَّع على ايام قلائل لا يتجاوز معدلها ثمانية واربعين يومًا في السنة فيتضح من ذلك ان الغمام فيها قليل وجوها صافٍ زاهٍ في قسم كبير من السنة حتى في ايام الشتاء. ولا حاجة للقول انَّ هذا الصفاء يكون معظم جلائهِ في الصيف

وممَّا يجدر بالذكر انَّ الحرارة وصفاء الجوّ وتواتر الارياح الغربية تسير بالتقارن فتراها تتصاعد شيئًا فشيئًا من كانون الثاني حتى تبلغ معظمها في تموز ثم تعود الى الهبوط تدريجًا حتى تبلغ قلَّتها في كانون الاول. واذا قسمنا ايام السنة حسب حالاتها الجويَّة وجدنا ان ايام المطر يكون معدلها ٤٨ يومًا والايام الظليلة بالغمام ١١٩ والايام

الصافية ١٩٦ وهو تقسيم بديعٌ في جنب الصحة العامَّة والخاصَّة فتكون الطبيعة اذ ذاك قد جادت بكل ما يلزم لهذه الغاية ولم تُبقِ للانسان الّا استخدام ما هيَّأت لهُ من الاسباب وجعلت بين يديهِ من المددات لان اقتسام العناصر كما ذُكر بيّن جليًّا كم نالت بيروت نصيبها من الشمس والنور واعتدال الفصول وانتظامها الخ

ثقل الهواء والرطوبة

ان ثقل الهواء في بيروت يستمرّ في حالة واحدة فيقف عند الدرجة ٧٦٠ وعلى الخصوص في شهور الصيف ولا يتغيَّر تغيرًا بيّنًا الّا اذا هبَّت السموم فيتنازل حتى الدرجة ٨٤٥ ومثلهُ ميزان الرطوبة كما سبق القول فان هذه الريح الحارة تحدث فيه تغييرًا فيتزل الى الدرجة ٣٥ بعد اذ كان يتهادى بين الدرجة ٦٠ و ٦٥ في الحالة العاديَّة وقد يدلُّ على ذلك الجفاف تشقيقُ الاثاث الخشبيَّة يوم تهب السَّموم كما لاحظهُ سكَّان بيروت من مدَّة وجيزة لمَّا نفحت علينا تلك الريح الحرور. وهذه الرطوبة لا شكَّ شديدة لذلك ترى المصابين بالامراض الصدريَّة كالربو والانفيزيما وزكام الشُّعب المزمن لا يوافقهم هواء بيروت بل يزيد غالبًا في حالتهم امَّا الارجاء الواقعة وراء سلسلة لبنان في سهل البقاع والتي ما وراء جبل الشيخ من جهة دمشق الشام فهي في غاية الموافقة لهم

والآن اذ استوفينا الكلام على ما تستوجب معرفتهُ من آثار بيروت الجويَّة في جنب موضوعنا لنطبق عليهِ قوانين الهيجين وندرب معيشتنا بمقتضى سنن الصحَّة صار لا بدَّ لنا من الاسهاب في وصف المسكن فنبيّن محاسنهُ ونشير الى خاله ومعايبهِ ووجوه اصلاحها (ستأتي البقيَّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

بلاد البترون

من تتبَّع الآثار اليونانيَّة او الرومانيَّة في بلاد البترون لا يجد منها ما يجدهُ في مقاطعتَي كسروان وجبيل. وسبب ذلك ان موقع البترون في سفح جبال شاهقة ابى الاقدمون ان يتخذوها كسكنى لهم اللهمَّ الّا قليل منهم حتى ظهرت الأمَّة المارونية

فاستعمرت تلك الجهات وجعلتها كمركز انتشرت منهُ الى البلاد المجاورة. والدلائل التاريخيَّة المثبتة بذلك كثيرة نشير اليها في مطاوي كلامنا ان شاء الله

ولقلة الآثار القديمة في البترون ونواحيها علَّةٌ اخرى وهو بُعدها عن أُمهات المدن كبيروت وصيداء ووقوعها خارجاً عن دائرة امكنة الفينيقيين المقدَّسة كجبيل. ولذلك ترى في جنوبيّ لبنان ووسطهِ من الكتابات والاخربة ما لا تجدهُ في البترون وتوابعها

٢٢ مدينة البترون

البترون احدث عهدًا من جبيل وبيروت وكان الانكليزي كندر (Conder) زعم أنَّهُ وُجد اسمها في مراسلات تلّ العمارنة (راجع المشرق ٣: ٧٨٨) الَّا انَّ علماء العاديَّات فنَّدوا هذا الزعم. وكذلك لو تصفحنا تواريخ الفينيقيين واليونان والرومان لما وجدنا عن البترون الَّا النزر القليل الذي لا يُشفي منهُ غليل. وذلك دليل واضح على انها لم تكن ذات شأن خطير

على أنَّنا لا نريد بذلك ان نبخس البترون حقَّها فانَّ هذه البلدة لا تخلو من البقايا والاطلال القديمة لولا انَّ الابنية الحديثة التي تعلوها اليوم لا تسمح بتقدير هذه الاخربة وتعريف تاريخها. ولنا ايضاً شاهد آخر على مقام البترون سابقًا وهي المسكوكات والنقود التي ضربها اهلها أيام استقلالها فترى لها تاريخًا خاصًا بها كبقيَّة مدن الساحل. وقد بيَّن ذلك الدكتور جول روفيه في مقالتهِ عن تاريخ مسكوكات البترون (راجع المشرق ٢: ٤٧٦)

والشائع عن اصل هذه المدينة انَّ بانيها ايتوبعل ملك صور في القرن العاشر قبل المسيح كذا روى المؤرخ اليوناني ميناندر وصادق عليهِ يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير

ومن آثار الفينيقيين في هذه البلدة سورٌ متين نحتوهُ في الصخر الاصم من جهة البحر وقد بقي منهُ بقايا الى يومنا مع اعمال أُخرى تنطبق على ما نعرف من حذاقتهم في قطع الحجارة. ومنها ايضاً بعض قبور ونواويس قديمة كما ترى في غيرها من المدن الساحليَّة

ولا غرو انَّ الرومان بعد فتح سوريَّة شيَّدوا في البترون الابنية وجعلوها من القلاع الحريزة وازهرت في أيامهم الى ان خربت في زلزال سنة ٥٥٠ م

وقد بقي من عهد الرومان نقوش وقطع كتابات رأى منها رينان طرفًا كما اثبت ذلك في بعثة فينيقية (ص ٢٤٩) يقول انهُ وجدها في انقاض حصنها وقد بحثنا عنها فلم نشاهدها

اما الحصن المذكور فقد شيّده اصحابهُ في القرون المتوسطة واتخذوا لبنائهِ ما عثروا عليهِ من الابنية السابقة. وقد ذكر العرب هذا الحصن منهم ياقوت الحموي في معجم البلدان (١: ٤٩٣) قال: «بَتْرون (١ بالتحريك والراء حصنٌ بين جُبيل وأنفة على ساحل بحر الشام». وقال الادريسي (طبعة غلدميستر ص ١٧): «ومن مدينة جبيل على البحر الى حصن بترون عشرة اميال وهو حصن حسن»

وعلى مقربة من البترون في المكان المسمى مراح الشيخ ملعبٌ قديم من بناء الرومانيين لهُ مقاعد على شكل درج مستدير منحوتة في الصخر وكلُّ ذلك ظاهر حتى يومنا. وحول هذا الملعب قطعٌ من الرخام وحجارة منقوشة تراها مبثوثة في الارض يتخذها الاهلون للتكليس

وان سرتَ من البترون ليس بعيدًا عنها الى شمالي نهر الجوز ترى كنيسة قديمة تُدعى كنيسة مار يعقوب بُنيت بأنقاض هيكل قديم. وعلى بعض حجارتها كتابةٌ يونانيَّة طُمس اكثرها فلم يبقَ منها الّا حروف قليلة (٢

وعلى مسافة بضعة امتار من هذه الكنيسة من جهة الشمال الغربي كنيسة اخرى منتصبة فوق اكمة تعرف باسم «سان سابور» وهي لا تزال على حال مرضية تجد في بنائها ما يذكّر بطريقة الصليبيين في الهندسة. ولهذه الكنيسة عيدٌ يقيمهُ اهل البترون في اليوم ٦ من آب وهو يوم عيد التجلي. وعلى رأينا ان اسمها مصحَّف عن كلمتين افرنسيَّتين معناهما الطور المقدَّس (Saint-Thabor). امَّا سبب اطلاق هذا الاسم على الكنيسة المذكورة فهو لانها كانت لاحقة بالدير الذي شيَّدهُ الصليبيون على جبل الطور. وكان لهذا الدير اوقاف عديدة واملاك واسعة منها في الكورة وقرب طرابلس (٣. نعم انَّ هذا المحلّ لم يُذكر في قائمة هذه الاملاك بيد ان اسم الكنيسة الاعجمي وشكل هندستها ووقوع عيدها في يوم التجلي كلُّ ذلك يؤيد رأينا. ومهما

---

١) كذا ضبطها ياقوت والادريسي. وفي تواريخ الصليبيين «Le Bethoron» اما اليونان فكانوا يسمُّونها بَتريس (Botrys) وكان يُقيم فيها اسقف (راجع الشرق المسيحي للوكيان)

٢) راجع بثة فينيقية (ص ١٤٨)

٣) راجع المجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, X, 235)

كان من امر هذه الكنيسة لا شكَّ في انها تستحقّ الذكر لأنها مثال حسن عن طريقة اهل لبنان في الهندسة الكنسيَّة

٢٣ سَمَر جُبيل

هي من اقدم قرى بلاد لبنان واعظمها شأنًا من حيث آثارها موقعها شمالي جبيل وكانت في القرون المتوسّطة احد مراكز الملة المارونيَّة استوطنوها فتحصَّنوا فيها لردّ هجمات اعدائهم وفيها كنائس عتيقة ذكرناها سابقًا. الكبرى منها مشيَّدة على اسم القديس نهرا وهي حسنة البنيان يصلي فيها القوم حتى يومنا. وعلى جدارها الخارجي كتابة سريانيَّة ذهب الدهر بقسم منها مُفادها انَّ كاهنًا قُبر هناك. امَّا اسم الدفين وتاريخ وفاته فقد طُمسا. وكان رينان نقل هذه الكتابة سنة ١٨٦٠ (ص ٢٤) وقد اخذنا مؤخَّرًا رسمها الشمسي فلم نكد نجد منها الَّا الفاظًا قليلة. ولسمر جُبيل كنيسة اخرى قديمة لم يبقَ منها غير ردمها

واول ما يستدعي اليه نظرَ الداخل في سمر جبيل قصرُها المبني فوق اكمة. وجدران هذا البناء الجليل الماثلة ترتقي الى الاجيال المتوسّطة فقط لكنَّ اركانهُ السفلى واساس بروجه وخنادقهُ المنحوتة في الصخر تدلُّ على قدم عهده وعظم اثره وترى لمدخله عتبة ذات درجتين منقورة في الصخر. ولا يبعد ان الفينيقيين قاموا بهذه الاعمال فانَّهم كانوا مولعين بنحت الصخور كأنَّ عزمهم اشدُّ صلابةً منها. وكانوا مع ذلك يحملون الصخر كمقلع يتخذون منهُ حجارة ابنيتهم كالقلاع وغيرها. وفي داخل هذا القصر وعلى مقربة منهُ آبار وصهاريج عجيبة الصنع محكمة التجهيز بعيدة الغور كلها في الصخر الاصم لا نظنُّ انَّ الرومان مع جلدهم واعمالهم الجبريَّة تولّوا نقرها بانفسهم

وممَّا يرتقي ايضًا في هذا القصر الى عهد قديم النقوش التي يراها الزائر عند جهته الشماليَّة في اسفل الصخر الذي أُقيم فوقهُ البناء. غير انَّ هذه النقوش داثرة يصعب تعيين زمنها ورسم صورتها

وفي سمر جُبيل آثار أُخرى من العاديَّات منها المدافن الواقعة في شرقي القصر. وقد كُتب باليونانيَّة فوق بعض قبورها انَّ امرأَة عمرها ١١٠ سنوات دُفنت مع ابنها في قبر واحد وتاريخ هذه الكتابة في القرن الثالث للمسيح وهو حسن الرسم لا إشكال في قراءته. وفيه دليل على سنّ طاعنة قلَّ ما يبلغها الشيوخ المعمرون. امَّا البالغون سن

الثامنين الى التسعين فعددهم ليس بقليل في لبنان تشهد على ذلك الكتابات منها كتابة لاتينيَّة محفوظة في كنيسة بيت خشبو يُستفاد منها انَّ بعض الشيوخ توفي ولهُ من العمر ٨٧ سنة (راجع ايضاً بعثة فينيقية ص ٣٨٥ و ٣٨٦)

فهذه الآثار التي وصفناها تنبئ بقدم سمر جبيل وخطورتها لكنَّنا لا نعرف شيئاً من تاريخها السابق ولعلَّها احدى القلاع التي خربها بُمبيوس عند فتحهِ بلاد الشام (المشرق ٢:٥٠٧) والله اعلم. ومما اثبتهُ الدويهي في تاريخهِ (ص ٢٠٢) ما حرفهُ: « وفي سنة ١٦٣٠ في الخامس والعشرين من تشرين الثاني نهار الاحد حدثت زلزلة مريعة. وفي الساعة الثالثة من الليل حلَّت في قلعة سمر جبيل وهدمت البرج الاوسط من جوانبهِ الاربعة وخرَّبت جميع ما كان في القبو التحتاني المركَّب على البئر »

هذا وفي بلاد البترون عدَّة امكنة تستحقّ الذكر لآثارها فانَّ الباحث يجد فيها من النواويس والنقوش ونحيت الحجارة ما هو دليل على اصلها القديم أخصُّها كفرحتنا ومسرح وشبطين وكفر شليان التي تكرَّر ذكرها غير مرَّة في اثناء مقالتنا عن كنائس لبنان والحقّ يقال انَّ العَمَلة الاقدمين قد احسنوا في هذه القرية نقر صخورها. من ذلك ثلاث حُجر نقروها في الصخر على احسن هندام وآثار آلات النحت فيها مع قدمها بيّنة كأنَّها نُقرت منذ زمن حديث

ومما عاينَّا في مسرح نقوش محفورة في الصخر اكثرها دارس مطموس بقي منها صورة ثور وبقرة مسنَّمة وموقع هذه النقوش فوق اقبية عتيقة. وقد شاهدنا ايضاً تمثال شخص يُرجَّح كونهُ امرأة وهي لابسة ثوباً رافلاً وفي يدها اليسرى رمَّانة وعنقود عنب

(ستأتي البقيَّة)

الطبّ في عهد الخلفاء وكتاب الفصول للرازي

نبذة للاب موريس كولنجت اليسوعيّ قرأها في مؤتمر مكتبنا الطبي

انَّ في مكتبتنا الشرقيَّة عدَّة تآليف طبيَّة وضعها العرب نصفها ان شاء الله قريباً في مجلة المشرق وانَّما اخترتُ بينها كتاباً رأيتهُ احقّ بالذكر من سواهُ لأعرضهُ على مؤتمركم السنوي علَّهُ يوقفكم على شيء من احوال العرب الطبيَّة في أيَّام عزّهم. واسم

الكتاب المذكور «كتاب الفصول» لبقراط زمانهِ الحكيم النطاسيّ ابي بكر محمد ابن زكريا الرازي احد ائمّة الاطبَّاء في خلافة العباسيين

ولمعرفة فضل هذا الكتاب فليسمح لي الحضور بان اورد لهم لمحةً من تاريخ الطبّ في عهد الخلافة العباسيّة. لمَّا ابتنى ابو جعفر المنصور مدينة بغداد بلغهُ ذكر جنديسابور احدى مدن العجم وما لاطبَّائها من الشهرة. وكان في تلك المدينة مدرسةٌ طبيَّة وبيمارستان يدبّرهما النصارى وكان المتولي عليهما جيورجيوس بن جبريل بن بختيشوع. فانفذ المنصور اليهِ من يحضرهُ فحضر سنة ١٤٨ هـ (٧٧٥ م) بعد ان اوصى بامر البيمارستان ابنهُ بختيشوع. وكان الخليفة مصابًا بمرض وفسدت معدتهُ فعالجهُ جيورجيوس وتلطّف في تدبيرهِ الى ان رجع الى مزاجهِ الاوَّل. فسرَّ بهِ المنصور واراد ان يبقيهُ في بغداد فلم يزل جيورجيوس يلحّ عليهِ حتى أَذن لهُ بالانصراف الى بلدهِ

لكن اطبَّاء جنديسابور عظموا مذ ذاك الحين في اعين الخليفة واستصحب المنصور عيسى بن شهلاثا تلميذ جيورجيوس. ثمَّ قدم بغداد غيرهُ من الاطبَّاء. اشهرهم بختيشوع ابن جيورجيوس وجبرائيل ابنهُ خدما هارون الرشيد وحظيا عندهُ. واشتهر ايضًا في ذلك الوقت في بغداد ماسويه الصيدلاني وابنهُ يوحنَّا. وفي أيَّام يوحنَّا بن ماسويه أُنشئ في مدينة السلام اوَّل مستشفىً وكّل الخليفة امرهُ اليهِ فقام بتدبيرهِ احسن قيام

فلمَّا رأى الخلفاء وكبار الدولة ما نجم عن هذا المستشفى من المنافع اخذوا يتنافسون في انشاء غيرهِ فكثرت المارستانات واتّسعت اعمالها وتوفَّرت اوقافها وكثر الاطبَّاء. حتى أنَّهُ كان لاحدها عشرون طبيبًا. ثمَّ بلغ خبرها الى انحاء المملكة فجعل العمَّال والاعيان ينشئون مثل هذه المقامات في حواضر المدن كمصر ودمشق وانطاكية والقدس الشريف. ولا نكير انَّ هذه المستشفيات لم يمكن ثباتها واتساع نطاقها دون مدارس يتلقَّى فيها الطلبة مبادئ الطب ويتعلَّمون اسباب العلاج وطرائق التمريض. وقد برز من هؤلاء الاطبَّاء قومٌ اشتهروا بتآليفهم ومعارفهم الجمَّة. وكان لبعضهم من التلامذة عدد غفير يتقاطرون اليهم ويأخذون عنهم ويصحبونهم في عيادتهم للمرضى. ومن طالع ما كتبهُ عن احوال الاطبَّاء. وتواريخهم ابنُ القفطي وابن جلجل وابن ابي اصيبعة في كتاب طبقات الاطبَّاء. وابن العبري في تاريخ مختصر الدول لأَخذهُ العجب عن ترقّي فنّ الطب في أيَّام الخلفاء. وكثرة المؤلفات التي وُضعت في هذا العلم

ولمّا كثر عدد الاطباء تخوّف اصحاب الامر من ان يتخذ بعض المشعوذين هذه الحرفة لمجرَّد الارتزاق دون ان يتقنوا مبادئ هذا الفنّ الجليل فتقدّم الخليفة القاهر الى طبيبه النطاسي سنان بن ثابت بأن يمتحن المتطبّبين ويمنع من التصرُّف كلّ من لم يجده كفوءا لذلك ويطلق الى كلّ واحد منهم ما يصلح لهُ . قيل ان عدد هؤلاء المتطبّبين الذين كانوا في جانبي بغداد بلغ ٣٦٠ رجلًا سوى من استغنى عن هذا الفحص لشهرته ومن كانوا في خدمة السلطان . وصارت مذ ذاك الحين محنة الاطبّاء شاهدًا على اقتدارهم وضمينًا على حسن تصرُّفهم كما تُطلب اليوم شهادة الطبيب قبل ان يرخَّص لهُ بممارسة فنّه وهي الضامنة لنفوس العباد

ولو دخلنا احد هذه المستشفيات المدعوّة يومئذ « مارستانات(١) » لوجدنا انّ العرب سبقونا الى اشياء عديدة من حيث تقسيم العاهات ومعالجاتها فكانوا افرزوا حُجَرًا لاصحاب الحمّيات ومحلّات للمصابين بادواء العين ومقامات للمعترين بالجنون او للاعمال الجراحيّة . وكان مديرو بعض هذه المستشفيات يجمعون في الليل من اصابهم الأرَق ولم يكحل النوم اجفانهم ليخفّفوا عنهم مُضض السهاد امّا باصوات المغنين وامّا بحكايات القصّاصين . وكان لكل مستشفى سجلّات يدوّنون فيها احوال المريض وانواب المرض عليه وقد بلغ الينا بعض هذه الارصاد في تآليف الاقدمين

امّا طريقتهم في التعليم فكانت غاية في السذاجة فكان لكلّ معلم فنّ خاصّ به يفكّ اسراره لتلامذته . وربّما اتّخذ لتدريسه بعض الكتب الشهيرة من اليونان او ائمّة الطب فيفسّرها لهم . وكان لكلّ مستشفى خزانة كُتب تتضمَّن تآليف مشاهير الاطباء وتعريب افضل ما وضعهُ اليونان كبقراط وجالينوس وديوسقريدس وكانوا يؤثرون مصنَّفات اليونان في الطب كما اقتصُّوا آثارهم في علم الهيئة والموسيقى والفلسفة . ولذلك تراهم يستشهدون بهم في مقالاتهم الطبيَّة ويجلُّونهم ايّ إجلال . وممّا يُخبر عن جبرئيل ابن بختيشوع انهُ كان يسير مع الرشيد في بعض غزواته حتى اذا وصل الى بلاد الروم ليس بعيدًا عن قبر جالينوس استأذن الخليفة ليزور استاذهُ ويكرّم ضريحهُ . فاجاب الخليفة الى سؤاله وارسل معهُ الف فارس ليرافقوهُ

بيد انّ العرب لم يقتصروا عن مراجعة كتب اليونان بل أعملوا النظر ايضًا في

١) المارستان كلمة فارسيَّة معناها محلّ المرضى . ويقال بيمارستان

تصانيف السريان والعجم والهند. وان تصفّحنا ما نجا من ايدي الضياع الى يومنا رأينا المكاتب الكبرى في الاستانة العليّة وباريس ولندرة وفيَنّة ومجريط وليدن ومصر حافلةً بالكتب الطبيّة. وفي مكتبتنا الشرقيّة كما سبق عدّة كتب طبيّة نكتفي اليوم بذكر « فصول الرازي » منها

الرازي نسبةً الى مدينة الريّ من اعمال العجم اسمٌ عُرف به كثيرون من مشاهير العرب ألّا انّ أعظمهم شأناً صاحب الكتاب الذي نحن بصدده واسمهُ ابو بكر محمّد ابن زكريّا وُلد في أواسط القرن التاسع للميلاد قال ابن العبري في حقهِ (ص ٢٧٤): « كان الرازيُّ في ابتداء امره يضرب بالعود ثمَّ اقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً وألّف كتباً كثيرة اكثرها في صناعة الطب وسائرها في المعارف الطبيعيّة ودبّر بيمارستان الريّ ثمَّ بيمارستان بغداد زماناً. وكانت وفاتهُ سنة ٣٢٠ هجريّة (٩٣٢ م). وتآليف الرازيّ لا تكاد تُحصى منها في فنّ الموسيقى والرياضيات والطبيعيات والكيميا لكنَّهُ في الطبّ اشهر منهُ في غيره. فلهُ تآليف عديدة في الجراحة وتدبير الصحّة والادوية وتشخيص الامراض والعلل الداخلية ورسالتان في الحصبة والجدري نُشرتا بالطبع ولهُ كتاب في المارستانات وتدبيرها. قال ابو الفرج عنهُ: « انهُ لم يكن يفارق النَّسخ امّا يسوّد وامّا يبيّض »

وكتاب الفصول هذا يدعى ايضاً المرشد ذكرهُ ابن ابي أُصيبعة في طبقات الاطبّاء. ونسختنا قديمة كُتبت سنة احدى وثمانين وستمائة للهجرة (١٢٨٢ م) بخط نسخي غليظ حسن وفصولهُ بالحرف الاحمر طولهُ ٢١ سنتيمتراً في عرض ١٤ س لهُ جلد قديم منقوش يحتوي على ١٧٨ صفحة وفي كل صفحة ١٣ سطراً. ونسخ هذا الكتاب نادرة جدّاً لم نجد لهُ ذكراً في خزائن كتب اوربّة وقد وهم بروكلمان (Brockelmann p. 234) بقولهِ انَّ في ليدن نسخة منهُ. وممّا يدل على اعتبار الاقدمين لهذا الكتاب بيتان قرظهُ بهما احد مالكي نسختنا يُدعى سقرطون (؟) احمد قال:

قد درُّك من طبيبٍ حاذقٍ آدابهُ في علمهِ ترضيني
اهدى الشفاء الى المسامع عندما قرأ الفصول عليَّ بالقانونِ

وكانت غاية الرازي بتأليف هذا الكتاب ما قالهُ في مقدّمته ان يجعلهُ « مدخلاً الى صناعة الطب وطريقاً للمتعلّمين » ودعاهُ بالفصول معارضةً لفصول أبقراط وكان

وجد في فصول إمام الطب من « الاختلاط وعدم النظام والغموض » ما حداهُ الى وضع هذا الكتاب « فتحرّى في ذلك للايضاح والتمثيل وترك الاغراق والوغول في الغوامض ممّا يقع فيه الخلاف ويحتاج الى البحث والنظر »

ويلي المقدّمة عدّة فصول مرجعها الى ثلاثة اقسام بيّن في الاول تركيب الانسان وصحّتهُ وفي الثاني ما يطرأ على مزاجه من الامراض مع تعريف هذه الامراض وتشخيصها وفي القسم الاخير يذكر الادوية لعلاجها وفي اثناء الفصول كلها وصايا عديدة لتدبير الصحّة

فلنختصر ما يقولهُ الرازي عن كلّ قسم من هذه الاقسام ليطّلع القراء على تعليم قدماء الاطبّاء وطرائقهم العلاجيّة

١ في تركيب الانسان وصحّته

يقول الرازي (ص ٥ — ١٧) انّ « الانسان مركّب من ثلثة اجناس وهي ارواح وجوامد وسوائل . فالارواح هي الابخرة التي فيه . والسوائل هي اخلاطهُ الاربعة اي الدم والصفراء والبلغم والسوداء . والجوامد كالعظم والغضروف واللحم ونحوها — انّ صحّة البدن تقوم باعتدال الاخلاط وحسن المزاج ولا بُدّ لذلك من امور كثيرة يعدّدها الرازي ويصفها اخصها الهواء والماء والغذاء

ثمّ يصف الرازي انواع الاهوية (ص١٧— ١٥) كالهواء اليابس والرطب والحارّ والبارد مع اختلاف مهبّ الرياح ويذكر ما في كلّ منها من الخواصّ الموافقة للجسم او المنافية لصحته . وكذا يفعل بوصف المياه وحالاتها كالثلج والجليد وانواعها من حارّ وبارد وعذب وحلو (ص٢٥—٢٨) . ثمّ ينتقل الى تعريف الاغذية وضروبها ما يصلح منها لاعتدال البدن واستعمالها على طريقة الصواب . والغاية من هذه الاغذية ان تصون الحركة الدمويّة والحرارة الطبيعيّة . والقلب يتروّح بانبساطه بان يجذب هواء باردًا الى الرئة ويخرجهُ عنهُ اذا سخن بانقباضه (ص ٩٦) . ويكون الهضم باستحالة الاغذية الى دم ومادّة موافقة لبقاء البدن ونموّه لأنّ « الغذاء اذا ورد المعدة احتوت عليه وطبختهُ حتى يصير فيها شيئاً بمنزلة ماء الشعير الثخين الذي تسمّيه الاطباء الكيلوس ثمّ انهُ يصير من هناك الى الامعاء فتمتصّ منهُ كامتصاص عروق الشجر موادّها من الارض ثم يحصل ذلك الكيلوس في العروق التي في لحم الكبد فيستحيل هناك دمًا ويتولّد فيه عند

الطبخ والاستحالة رغوة وهو المرار الاصفر وثفل وهو المرار الاسود. ثمّ انّ المرار يجذب هذه الرغوة والطحال يجذب ذلك الدردي والكليتان تجذبان ما فضل فيه من الماء الرقيق فيبقى الدم نقيًّا وتندفع الفضلات من النوافذ

٣ً في الامراض وتشخيصها

الامراض هي الامور التي تُحدث بُطلان فعل الاعضاء او نقصانها او الوجع فيها لتغيّر حدث له. والوجع لا يكون الّا من تغيير الشكل والمزاج. وسوء المزاج علّته تغلّب احد الاخلاط الاربعة (ص٨١—٨٦). وان اعتبرنا الحمّيات (ص١١٤—١٢٤) « فعلّتها حرارة في القلب والدم. وهي امّا عرَض وهي المتولدة عن وجع اهاجها كالاورام والصداع وامّا مَرَض وهي المبتدئة من غير عَرَض اهاجها. والحمّيات التي هي أمراض ثلثة اجناس: حمى يوم. وحمى عفن. وحمى دقّ. فحمّى يوم تحصل من تسخين الارواح والاعياء والسهر والغمّ الخ. وحمّى العفن. ناتجة عن فساد الدم او عفونة الصفراء او البلغم. امّا حمّى الدقّ فهي التي تنحّف الاعضاء. وتكون امّا مبتدئة فلم تبلغ الى تنحيف الاعضاء. وامّا محتنقة وهي التي تحلّل رطوبات الاعضاء. وامّا ذبوليّة وهي التي تُفني اكثر رطوبات الاعضاء مع انطفاء الحرارة الغريزيّة »

ويكون تشخيص الامراض اي الاستدلال عليها (ص ٨٧ — ١٠٥) امّا بعلامات ظاهرة كاللون والضعف وفحص البول وامّا بجسّ النبض. مثال ذلك (ص٥٩) انّ علامات زيادة البلغم البردُ في اللمس والكثرة في النوم والكسل. وعلامات زيادة المرارة صفرة اللون ومرارة الفم وجفافهُ وسرعة النبض. وعلامات غلبة الدم نفث الدم والاورام والحمّيات

امّا البول فيدلُّ حسنًا على حالة الدم. وينبغي ان يؤخذ البول بعد انتباه العليل من نومه الاطول قبل ان يشرب شيئًا ويُفحص لونهُ وما يرسب منهُ. اذا كان الراسب ابيض برّاقًا دلّ على نضج تامّ. واذا كان متعلّقًا ابيض دلّ على نصف نضج. وكلّ رسوب مخالف للّون الابيض فهو رديّ لانهُ يدلّ على فرط النضج الّا انّ الاسود شرّها (ص ٩٤)

وكما انّ البول يدلُّ على حال الكبد في حرّه وبرده كذلك النبض يدلّ على حال القلب في الحرّ والبرد من التهابه واعتداله لانّ الشرايين انّما تنبثُّ من تجويف القلب

الايسر ومنهُ تجري هذه القوّة النابضة (ص ٩٦) فاذا كان سريعاً دلَّ على حرارة الدم الّا بعد الطعام او الرياضة القويّة . وان كان بطيئاً دلَّ على برودة الدم الّا بعد الاستحمام

ولتشخيص الامراض دلائل عديدة ،مثال ذلك ان المحموم اذا اصابهُ في اليوم السابع قلق وتثوّب وتقدّمَ في اليوم الرابع رسوبٌ ابيض في بولهِ فلا بأس عليه . امّا اذا تقدّم في هذا اليوم بول اسود وساءت حال العليل خفتَ ان يتم ذلك السوء في اليوم السادس او اليوم الثامن (ص١٠٦)

ومن أعراض المرض البُحران وهو تغيير يحصل في حالة المريض وهو يكثر في اليوم السابع او الرابع عشر والعشرين . ويعتدل كونهُ في الخامس والتاسع والحادي عشر ولا يكاد يكون في سائر الايّام الّا في السادس والثامن واذا كان فيهما كان رديئاً في أكثر الامر . والبحرانات تختلف مع اختلاف موضع القمر من الشمس (ص ١٠٧ — ١١٠)

٣ في الادوية وتدبير الصحّة

انّ للرازي فصولًا عديدة في تدبير الصحة . وقبل كل شيء يوصي بتدبير الطعام والشراب ويشير بالعدول عن المسكرات لاسيَّما «الحلوة التي تنشُّ وتغلي حتى تنفش عنها الابخرة » لكنَّ للشراب منافع في حفظ الصحّة اذا اصاب الانسان موضعهُ ووقتهُ أعان على الهضم وأخصب الجسم وأدرَّ الفضول . واذا استُعمل بافراط اورث عِلَلًا كالرعشة والفالج والسكتة والخوانق والموت فجأةً والامراض الحارّة واوجاع المفاصل (ص ٧١—٧٥)

الحمّام يذهب مذهب الرياضة لانهُ يُعرّق الجسم ويوسّع المسامّ ويلين اللحم ويبسط الاعضاء المتشنّجة وينضج الزكام والنزلات . الّا انّ للحمام مضارّ للبعض خصوصاً اصحاب الحميات والمصابين بداء القلب (ص ٣٧—٤١)

الحركة تسمّن البدن وتجفّفهُ . ووقت استعمالها بعد الهضم التام وهي قبل الغذاء خير عظيم وبعدهُ شرٌّ عظيم . وينبغي ان يرتاض كل انسان بقدر احتمالهِ وقوّتهِ (ص٣٣) . ولا بدّ ان يكون الهواء دائماً في غاية الموافقة وينتفع اصحاب قرحة الرئة بالهواء البارد اليابس والمحمومون بالهواء البارد الرطب (ص ١٤٧) . ومن حسن قول الرازي هنا :

ألزم العليل في الامراض الحارّة التبريدَ والترطيب ما امكن ودَعْ هذيان الاطبّاء وتصلُّفهم بما ليس عندهم منهُ علم صحيح » (ص١٤٧—١٤٨)

واذا حلّ المرض فعلاجهُ التبديل والاستفراغ وتبديل المزاج . واعلم انّ الطبيعة تجاهد العلل وتصارعها وتروم احالتها فمتى كانت قويّةً بالنة لم تحتج الى الطبيب ولذلك تسلم الامم القليلة الاستعمال للطب كالاكراد والاعراب ونحوهم من امراض كثيرة . لكن الاجود في هذه الحال ان يعينها الطبيب لتكون غلبتها العلل اسرع واقوى (ص١٤٠)

وممّا يجب على الطبيب ان يُعنى بهِ كل العناية أن لا يُسقط قوّة العليل بتغذيتهِ واراحتهِ وسرورهِ والميل مع شهواتهِ التي تزيد في قوّتهِ والمنع من الامور التي تغثّهُ فانّها تنقص قوّتهُ ويجب ان يُقبل في بعض الامراض اولًا على قطع سبب العلّة وفي بعضها على تقوية القوّة (ص ١٢٦)

امّا الادوية لتفريغ الاخلاط الرديئة فهي اولًا الفصد امّا في الكتف وامّا في عرق الباسليق او في الصافن او عرق النسا على حسب الامراض . وثانيًا المسهلات لامراض الاعضاء العليا . ثالثًا القيئات للاعضاء السفلى . وللرازي قائمة مطوّلة ذكر فيها النباتات التي تصلح للمسهلات والقيء كالسقمونيا وغيرها . رابعًا المدرّات لعلل الاعصاب والظهر والامراض الرطبة . خامسًا المعرّقات

ثم يُعدّد الرازيّ ما يصلح لتنقية كلّ عضو كالاذن والعين والأنف (ص ١٢٩ — ١٤٠) وفي هذه الاقسام الفاظ كثيرة تعرف اصطلاحات الاقدمين يُستدلّ على معناها بمفردات ابن البيطار

هذه خلاصة ما ورد في كتاب الفصول للرازي(١ مع وصايا عديدة حسنة لتدبير الصحّة . ومن امعن النظر في هذا الكتاب وجد انّ قدماء العرب مع تقصيرهم في امور كثيرة لم يدركوها او نقلوها على علّاتها عن اليونان لم يخلوا من الدراية ودقّة النظر في الطب وأنواع العلاج فيستحقون شكرنا لأنهم نهجوا لخلفائهم سُبلًا اتّبعوها بعدهم فبلّغوا الطب مقامًا شريفًا . وانّما الفضل للمتقدّم

١) اعلم انّ جيرارد دي كريمونا الشهير نقل في القرن الثاني عشر الى اللاتينية كتبًا عديدًا للرازي من جملتها كتابان احدهما دعاهُ (liber divisionum) ونظنّهُ كتاب تقسيم الامراض والآخر (Aphorismorum libri sex) لا ندري أهو كتاب الفصول ام غيرهُ . والأرجح انهُ ليس هو

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

معنى لفظة « الصابئة » وما جاء من بعض مترادفاتها

ان سألنا العربَ ما معنى الصابئة . قالوا كلهم كلاماً مختلفاً في المبنى . مؤتلفاً في المعنى واكثروا من التفاسير والتأويل . وفي كلّ ما نصُّوا عليهِ ليس ما يروي الغليــل . او يشفي العليل . قال ابن القيّم العلّامة في كتابهِ اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ما حرفــهُ : « واصل دين هؤلاء (اي الصابئة) فيما زعموا انهم يأخذون محاسن ديانات العــالم (ويقابلهُ بالفرنسيَّة بهذا المعنى éclectiques) ويُخرجون من قبيح ما هم عليــهِ قولًا وعملًا . ولهذا سُمُّوا « صابئة » اي خارجين . فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين وتفصيلهِ الّا ما رأوهُ فيهِ من الحقّ . وكانت كفَّار قريش تسمّي النبي (صلعم) : (صابئاً) والصحابة : « الصبــأة » . ويُقال : صبأ الرجل بالهمز اذا خرج من شيء الى شيء . . وصبا يصبو (كدعا يدعو) اذا مال . ومنهُ قولهُ : « و إلَّا تصرف عني كيدهنَّ أصبُ اليهنَّ » اي أَمِلْ . والمهموز والمعتلّ يشتركان . فالمهموز : ميــل عن الشيء . والمعتلّ : مَيلٌ اليهِ . واسم الفاعل من المهموز : « صابئ » بوزن قارئ . ومن المعتلّ : « صابٍ » بوزن قاضٍ . وجمع الاول : « صابئون » كقارئون . والثاني : « صابون » كقاضون . وقد قُرِئ بهما » اه . وقال سيفُ الدين ابو الحسن الآمدي في كتاب ابكار الافكار ما حرفهُ : « والاشبه في تسمية هذه الطائفــة » صابئة « لميلهم وانحرافهم عن سَنَن الحقّ في نبوّة الانبياء واتخاذهم آلهةً غير الله تعالى . اخذاً من قول العرب : صبا الرجل : اذا مال وانحرف » اه . وقال في شفاء الغليل : « صابئ » بن لامك . علم اعجميّ وهو اخو نوح . اليــهِ تُنسب الصابئة . قالهُ السهيلي » . وقال في المصباح : « وصبأ من دين الى دين يصبأُ مهموز بفتحتين خرج فهو صابئ . ثمَّ جُعل هذا اللقب علماً على طائفةٍ من الكفَّار يقال انها تعبــد الكواكب في الباطن وتُنسب الى النصرانيَّــة في الظاهر . وهم الصابئة والصابئون .

ويدّعون انهم على دين صابئ بن شيت بن آدم (١ ويجوز التخفيف فيقال: « الصابون » وقرأ به نافع اه

هذا هو رأي العرب في اشتقاق لفظة الصابئة. امّا الافرنج فقد ذهبوا الى غير هذا المذهب. قال نُزبر في مقدّمة كتاب « المصحف الناصري » (٢ ما معرّبهُ وقد نقل الكلام عن صاحب « كتاب لغة الصابئة ودياناتهم »: ومن المرجّح ان كلمة "الصابئة" مشتقّة على ما قالهُ العرب من صَبَغَ (צבע) اي عمَّد وادخل في الماء ». قلتُ: وهذا الاشتقاق ليس ببعيد فان ما كان بالغين المعجمة في العربيَّة فهو في سائر اللغات السامية بالعين المهملة ولمَّا كانت العين المهملة كثيرًا ما تُبدل من الهمزة وبالعكس كما بيّناهُ غير مرَّة في المشرق كانت لفظة الصابئة بمعنى الصابغة من المحتمل. لكن يُردّ على هذا العلّامة وعلى من حذا حذوهُ واتبع رأيهُ ان لفظة الصابئة قديمة وسُنَّة الصبغ مقتبسة من النصرانيَّة وهي لم تكن عندهم في الاطوار الثلاثة الاولى وعليه فهذا الاشتقاق غير صحيح وبالتالي غير مقبول. والرأي الآخر هو الذي ذكرهُ المقتطف (٢٣: ٨٧) بما حرفهُ: « وذهب نولدكي الى انها مشتقة من « صبَّ » الماء اشارة الى اعتمادهم بالماء. لانهم يتعمدون كالنصارى ». قلنا: ويُردّ على نولدكي (ان كان هذا هو رأيهُ بالحقيقة) نفس ما رددناهُ على نُزبر. وقد ذكر المقتطف في نفس تلك الصفحة رأيًا آخر قبل رأي نلدكي. قال: « وذهب جِسِنْيُوس العالم اللغوي الألماني ان كلمة صابئين مشتقة من صباؤث العبرانيَّة اي جند السماء. دلالة على انهم يعبدون الكواكب » اه. وهو رأي مُحتمل لانهُ يُخرَّج على الرأي الآتي وهو:

ان الصابئة عندي مشتقَّة من « صَبَأَ » لفظة قديمة من عهد أن كانت اللغات السامية لغةً واحدةً او لغةً مختلطة ومشتركةً بين عامَّة الساميّين ومُصحَّفة عن « ضَوَأَ » التي قلبها العرب في اصلاحهم للتفهم الى كلمة « ضاء » ولا جرم انهُ وُجد زمان قبل الزمان الذي دُوّنت فيه اللغة وقواعدها بقرون كثيرة امور لغويَّة « عربيَّة » تقريبًا من

---

١) وليس في ايدينا من الكتب تؤيد ان المسمى « صابئ » هو ابن لامك كما قالهُ في شفاء الغليل او ابن شيت كما يقولهُ الفيومي

٢) Matth. Norberg : *Codex Nasaraeus, liber Adami appellatus*. T. I, p. XIV, *nola* 13

سائر اخواتها الساميَّة وهي اليوم قد فُقدت او قد أُميتت او قد انقرضت او قد عفت آثارها ولم يبقَ منها الَّا غيضٌ من فيضٍ او قيضٌ من بيض. ولفظة الصابئة (١ هي من هذا القبيل فمعنى عبادة الصابئة اذن: عبادة الضائية اي الاجرام المضيئة وهي عبادة الكواكب والاجرام السماويَّة. ومثل ضاء: صبأ. ومثل أضاء: أصبأ. وسائر المعاني العربيَّة المتفرّعة مأخوذة من نُشوء الضياء. فتأمَّل

١) ومن هذه الكلمة نستنتج ثلاثة امور لغويَّة مهمَّة:

١ً كان العرب في قديم الزمن يتلفَّظون «يمضي» كلم الاجوف على اصولها كما هو الامر في بعض الفاظٍ يُنطق بها على هذا الوجه في اللغات الساميَّة من إرميَّة وعبريَّة وحبشيَّة. وشاهد اللغات الاخوات ليس بسهل النقض. لكن لمَّا رأى العرب ان اللفظ يثقل على اللسان عند الجري على الاصل فضَّلوا على ذلك قلب الواو او الياء الفًا اذا كانتا متوحّتين طلبًا للخفَّة في الكلام وحسن وقعهِ في الآذان. ولم يُحفظ الاصل الَّا في ما كان عينهُ مكسورة كَعوِرَ وعوِز وهيِفَ وغيِدَ. او غير ذلك ممَّا هو مقرَّر في كتاب النحاة (راجع شرح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك ص ٢٣٦ و ٢٣٧)

٢ً كان للعرب الاقدمين حرفٌ قد فُقد اليوم بالمرَّة من اللغة الفصيحة ولم يفقد من سائر اللغات الساميَّة وبعض اللغات العاميَّة العربية. وهذا الحرف هو الفاء المثلَّثة الفوقيَّة كحرف الـ V الفرنسية. ولمَّا كان هذا الحرف يُلفظ بين الباء والواو على رأيٍ وبين الفاء والواو على رأي آخر وبين الفاء والباء على رأي ثالث ضعيف كان الابدال بين هذه الأحرف ممَّا لا محيد عنهُ. والتمثيل في هذا الباب يدعم الرأي ويزيل الارتياب. ويُلقم المعترضين الحجر ويُنشّف في افواههم الرضاب. فامثلة الابدال بين الباء والواو: طَهبل وطَهوَل. نبَّهَ باسمهِ ونوَّهَ. الباشقُ والواشقُ. والبالُ والوالُ (ضرب من السمك). وامثلة الابدال بين الفاء والباء: السفينة والسبينة. الحِضف والحضب. الثب والثف. اليصب واليصف. والضنفس والضنبس. وامثلة الابدال بين الفاء والواو: أفشى الرجلُ وأوشى. وشوصَل وشَفصل. وكذلك الواو والفاء المطفيَّتان

أجَل اننا لا نجهل ان الشيخ ابرهيم اليازجي قد انكر في الضياء (٢: ٦١٠) وجود حرف الفاء المثلَّثة الفوقيَّة عند قدماء العرب اذ قال: «والثاني (اي والموضع الثاني) وهو ما لم يُضطرُّوا اليهِ في وقتهم الحرف الذي بين الفاء والواو او بين الباء والواو فانهم يبدلون منهُ احد هذه الاحرف الثلاثة...» الخ. غير ان هذا الكلام تردهُ: ١ً الادلَّة السابقة. ٢ً شهادة احد أعلام النحاة وقد ذكرها الرضيّ في شرح الشافية إذ قال (في آخر ص ٢٥٠): «قولهُ: والفاء كالباء. قال السيرافي: هي كثيرة في لغة العجم وهي على ضربين: احدهما لفظ الباء اغلب عليهِ من الفاء (اي پ p) والآخر: لفظ الفاء اغلب عليهِ من الباء (اي ڤ V) وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء الخلصين. قال: وأظن ان العرب انما اخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم اياهم» اه. قلتُ: وقد رأيتَ ان الفاء موجودة في بعض اللغات السامية كالارميَّة والصابئيَّة والحبشيَّة وعليهِ فوجود

والصابئة اذا تكلّموا بالعربية يُسمّون نفوسهم « صابئة » ويحرّفون اللفظة ويصحّفونها فيقولون: « صُبَّة » والواحد منهم: « صُبّي » او يُسمّون نفوسهم « يحياويّة » والواحد منهم « يحياوي » نسبةً الى يحيى اي يوحنّا الحصور لاعتقادهم انهم متمسكون بطريقة يحيى وهي بريئة منهم. امّا اذا تكلّموا بلسانهم الصابئ فيسمّون نفوسهم: « مَندايا » والواحد منهم « مَندايي » ومن ذلك تعريب اسمهم بهمزة بدلًا من الياء الاولى جريًا على الطريقة العربيّة

واذ قد فهمنا معنى اللفظتين الاولين بقي علينا ان نفهم معنى « مَندايا » فاذا سألنا حضرة الشيخ ابرهيم اليازجي فانهُ لا يتوقّف من ان يقول ان معناها كما ذكرها حضرة الفاضل نيقولا السيوفي: « اي الاقدمون » (؟. كذا. راجع البيان ص٦٩). امّا المقتطف فقد نقل في (الجزء ٢٣ : ٨٩) عن القس صموئيل زويمر (S. M. Zwemer) البروتستاني رأيًا آخر قال: « ومن روح المجد(١ انبثق الاردن العظيم(٢ ثم خلقت الحياة القديمة(٣ وهي معبودهم الحقيقي(٤ واليه يُصلّون واليه يُنسبون وقد صدر منهُ « مندا حياه » اي رسول الحياة (٥ وهو وسيطهم. وكل الذين يقبلون وساطتهُ هم المنداؤون » اه (كذا)

الثاء المثلثة في العربيّة قديم جدًّا. واختلاط العرب بالاعاجم قديم بخلاف ما يتوهّمهُ اللغويون. فان المؤرخين في هذه المادّة اصدق وعليهم المعوَّل

٣ لم يكن للعرب في الزمان القديم حرف الضاد اذ لا اثر لهُ في سائر اللغات السامية. وانما ادخلهُ العرب لغتهم على تراخي العصور حتّى غدا من مميّزات لغتهم. وما يلفظ ويكتب اليوم بالضاد المعجمة كان يُلفظ ويكتب بالصاد المهملة. ولنا على ذلك ما عدا لفظة الصابئة القديمة ودليل اللغات الاخوات وجود الفاظٍ عربية تُقال بلغتَين بالضاد المعجمة وبالصاد المهملة. وعليهِ فهي بالصاد على اللغة العربية القديمة وبالضاد على اللغة المُصلَحة. من ذلك: الحصب والحضب. والقصاقص والقضاقض. وناص نوصاً وناض نوضاً. وصئصئة وضئضئة. وانقاص وانقاض. وصلاصل الماء وضلاضلهُ. وانقاص وانقاض. وصمصم وضمضم. الى آخر ما هناك من الامثال الكثيرة التي ذكرها صاحب المزهر (١ : ٢٦٣ و ٢٦٣)

١) كذا. والاصح من « نَرْمَا » وهو المعبود الاعظم

٢) اعلم ان معنى لفظة الاردن عند الصابئة ليس علمًا لهذا النهر المعهود المشهور بهذا الاسم بل هو اسم معناهُ « النهر » مطلقًا. وفي قولهم « النهر العظيم » الماء العذب كلهُ. وقولهُ: « انبثق » هو وَهم ظاهر لان المندائيين لا يُسلّمون بالانبثاق ولا يعرفونهُ. وانما يقولون « بانعكاسات صور الالهية » لا غير

٣) قلتُ وفي لسانهم: « هيّي قدمايي » ومعناها « الحياة الاولى » لا الحياة القديمة

٤) كذا. وهذا وَهم آخر

٥) كذا. والاصح مَندا ذهيّي. ثم ان ابا مندا ذهيي ليس هو « هيّي قدمايي » بل روحاني آخر واسمهُ عندهم نباط ومعناهُ: منبع الحياة

واذا سألنا غير من تقدَّم ذكرهم من المؤلفين عن معنى كلمة « مَندايا » يجيبنا كل منهم جوابًا غير جواب الآخر. امَّا الحقيقـة فهي ان لفظة «مندايا» مشتقَّة من فعل بلغتهم وهو ܝܕܐ ويُقابلهُ بالآراميَّة ܝܕܥ ومعناهُ عَلِمَ ودرى وعرف وفَهِمَ. واسم الفاعل منها ܡܝܕܐ ثمَّ أُقحمت النون بين الميم والدال (وهم كثيرًا ما يفعلون مثل هذا) فصارت ܡܢܕܐ. ولمَّا كان حرف العين غير موجود بالصابئيَّـة فهم امَّا يبدلونها بحرف من احرف العلَّة او يحذفونها اعتباطًا بدون إبدال وعليهِ قالوا ܡܢܕܐ (مندا) وحاصل معناها: عارف او دارٍ. وبلفظة أُخرى « أدريّ » (gnostique). وهذا يدلُّك على ان المندائيَّة ليسوا الَّا ادريّين او فرقة من الادريين. وينقل الصابئة معنى لفظة « مَندا » من معنى الموصوفية الى معنى الوصفيَّـة مطلقًا فيكون معناها ايضًا « الدراية والعلم والمعرفة » وبالفرنسيَّة « gnose » ومن ذلك روحانيهم المعروف باسم: « مَندا دَهيّي » اي معرفـة او دراية الحياة (la gnose de la vie)

ولك وجهٌ ثانٍ تقول بعدهُ: « صرَّحتَ بجلذانٍ » وهو ان لفظة "المَندايا" المنسوبة الى « مَندا » مشتقة من فعل ܝܕܐ ومعناهُ. فقير وصعلوك وخشن المعيشة. فتكون هذه اللفظة نقل معنى « أبيوني » ébionite المشتقة من اصل عِبري אביון بمعنى مَندايا. وحينئذٍ يرجع بك المعنى الى ان المندائيَّة هم أدريَّة لانَّ الابيونيين هم فرقة من اولئك اصلحها أبيون. ثم جاء بعدهُ آخرون فقسمت فرقهم المختلفة باسماء مبدعيها ومن عداد هذه الفرَق الفرقة المنسوبة الى « أدَا »

ولك وجهٌ ثالث للتأويل وهو ان « أدا » Ada كان من الذين أدخلوا آراء جديدة في الصابئيَّة وكان يعيش فقـيرًا صعلوكًا كأبيون فصحَّف اصحابهُ لفظة « أدَا » وجعلوها يدا (ܝܕܐ) فاشتقوا منها اسم فاعل وقالوا « مَندايا ». ولمَّا كان هذا من الادريّين كان تابعوهُ شيعةً من هذه الفرقة. والخلاصة انك كيفما تصرَّفت بتأويل هذه اللفظة توصلك الى نتيجـةٍ واحدة اي انَّهم من الادريين وانهم قد انخرطوا في سلكهم بدون ان يتركوا عبادة الكواكب التي هي جوهر الصابئيَّة وقوام معتقدها في سابق الزمان وحاضرهِ

(ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي
معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ثمَّ زاد الليل طراءةً وزاد القمر اصفرارًا وكمدًا وانبعثت من البحيرة الجزرة رطبة باردة وظهرت أضواء ضعيفة مرتجفة من منازل القرى المحيطة بالبحيرة مثل تل النبي مند وكفر موسى وقطينة وشومارية وكفرعبده وغيرها فحينئذٍ عاد الشيخ البار الى كوخه قلق البال مضطرب الافكار فاغلق بابهُ وجثا للصلاة من اجل من كان ينتظره

وكانت العصافير قد انقطعت اصواتها وتكاثر عدد الخفافيش الطائرة في الجوّ ثمَّ هبّت ريح شماليَّة باردة اضطرتهُ لاقفال النافذة المطلَّة على البحيرة. غير أنهُ قبل ان يتمدَّد على الحصيرة التي اتخذها فراشًا لهُ فتح النافذة حتى ينظر الى البحيرة لآخر مرَّة. وكان قد تضاعف هبوب الريح وأخذ وجه الماء يتغطَّى بامواج صغيرة بيضاء فما كان غير قليل حتى شاهد هيئة سوداء تسير على بساط الماء فحدق ببصرهِ هنيهةً فرأى قاربًا دانيًا من الشاطئ وقد جلس في مؤخرهِ شخص ملتحف برداء عريض وفي مقدَّمهِ شخص آخر يسوق الزورق وهو يقاتل الريح والامواج بغاية الكدّ والعناء. غير انَّ الاب يوحنا لم يأمل ان يكون فيه الاب جرمانوس لان وقت قدومهِ كان قد مرَّ وانقضى وغاية ما ظنَّ انهُ يحمل خفيرًا جديدًا بعث بهِ جوسلين لمزيد التضييق عليهِ بعد ان عرف ان احد اصدقائهِ توصَّل الى تلطيف مرارة منفاهُ مدَّة بعض ساعات في كل شهر

واخيرًا اتصل القارب الى الشاطئ وخرج منهُ الشخصان الى ارض الجزيرة. امَّا الشخص الملتحف بالرداء فكانت قامتهُ تدلُّ على انهُ رجل غير ان مشيتهُ تنبئ بكونهِ امرأةً وقد تقدَّم منحنيًا متردِّدًا ولكن آثار السيادة بادية عليهِ

فلمَّا وصل الى المحبسة امر الجذّاف بان يطرق الباب فقام الاب يوحنا ففتح وقد اخذهُ العجب من الشخصين. وما لبث ان زاد عجبهُ لمَّا شاهد تحت ذاك الرداء على ضوء قنديلهِ الذي كانت انوارهُ الضعيفة تضيع في خلال الظلمة شخص امرأة جليلة وجميلة لبست ثوبًا متلألئًا بالحليّ وتشنَّفت باقراط من الحجارة الكريمة وتزنَّرت بمنطقة تلمع بالذهب الخالص

ففي الحال عمل اشارة الصليب وأغلق الباب في وجهها وظنّ ان الشيطان اتى ليجرّبهُ بهذه الطريقة . وكيف لا يظنّ ذلك وكان قد قرأ في سير الآباء القديسين ان الشيطان كان يتمثّل لهم في بعض الاحيان بصورة امرأة متبرّجة ليفقدهم ثمرة جهادهم الطويل

غير انّ المرأة صرخت قائلةً اسألك ايها الرجل القديس ان تصيخ اليّ وتأذن لي في هذا الليل ان اقيم ههنا . فما اتيت اليك الّا لاسترشد بنصائحك واي بأس اذا اذنت لي في المبيت على عتبة كوخك ؟

— أتطلبين الارتشاد في مثل هذه الساعة ؟ ثمّ ماذا يستطيع ان يفيدك هذا الشيخ الذي نبذ العالم نَبْذ النواة ؟

ومع ان الريح كانت تتلاعب بملابس تلك المرأة وغدائرها استمرت واقفة على عتبة باب الكوخ ثم أكملت كلامها بلهجة محزنة وهي تقول :

اني راحيل زوجة زَين مقدَّم البترون وقد اتيتُ اليك طالبةً منك النصح والتعزية

— لم أعد من هذا العالم . وباي حقّ يأتي الاحياء فيبلبلون سكينة الاموات ؟ واذا كنتِ تطلبين نصحاً وتعزية فلماذا تأتين من مكان بعيد وعندك بالقرب منك فرا غريغون رجل بارّ قديس ؟

— قد ركب البحر مسافراً الى رومية . اما انت ايها البارّ صديقهُ واخوهُ فلا ترفض امرأة منكودة الحظ اتت تطلب منك المشورة والصلاة .

ثم ان راحيل اخذت تقصّ عليه بصوت مرتجف يقطعهُ البكاء خبر الاحزان البيتيّة التي اطلعتنا الخادمتان بقلة افرازهما على شيء منها . فتأثر القديس من كلامها ورثى لها وتذكّر الافراح التي أُقيمت في بشرأي يوم زفافها وكيف ان المستقبل كان يبتسم لها واصبحت الآن وقد حالت احوالها ووقفت امامهُ منكسرة القلب طالبةً عونه واسعافهُ .

وقد رأى اذ ذاك انّ المحبّة المسيحيّة ما عادت تسمح لهُ بعدم الاكتراث بنكبتها ولمّا تذكّر ان معلّمهُ الالهي شارك الحزانى في مصائبهم لم يتمالك من ذرف الدموع حتى تبلّلت منها وجنتاهُ الضئيلتان

امّا راحيل فاتمت الكلام قائلةً :

بعد ان امعنتُ النظر طويلاً في شقائي رأيتُ ايها الاب المحترم ان حظّك شبيهٌ بحظّي. كلاّ لم يصدق المثل لانهُ اذا كان الانسان يعاقب في ما اخطأ بهِ فأنت عوقبت دون شك بسبب فضيلتك

— أقصري ايتها المرأة فان الحزن قد ضيّع عقلكِ ودفعك الى التجديف وكيف تجترئين ان تحكمي على مقاصد الله ؟

— اني عالمة بكل ما جرى ايها الاب المحترم فلا تحاول صرف ذهني عمّا انا عارفة بهِ حق المعرفة . نعم بما انك كنت رئيساً حازماً ومحافظاً على حقوق الله والكنيسة اسخطت جوسلين . وبغيرتك على التهذيب الرهباني حرّكتَ حقد الاخ جناديوس . وبما انك اخفيت عن الناس اعمالك الصالحة حكموا عليك بالابعاد وانت الان تحتمل مرارة المنفى كرجل فاسد ومُراءٍ ألِف الخلاعة وهام بها . مع انهُ ما صام احد كصومكَ ولا عمل توبة باخلاص نظيرك

حينئذٍ قاطعها الاب يوحنا قائلاً بمساءة : كفاكِ كلاماً في امور تجهلينها . ويحك أتنسين مشورة الكتاب القائل بانهُ لا يجب اصلاً مديح الاحياء .

— سامح ايها الاب حسن نيّتي واعلم ان مرارة نكبتي هي التي تُنطق لساني واذا كان زين يهماني وينساني فذاك في ظاهر الامر لسبب فضيلتي فاني بقدر ما ازيد محبّةً يزيد هو فتوراً واعراضاً ويتزل بي العقاب الذي تستحقهُ النساء القليلات الاكتراث بعيولتهنَّ او الخائنات لمهودهم . والله يشهد اني من بعد ما باركتَ زواجنا في قصر بشراي صارت كل افكاري لزوجي وكذلك كلّ حركة يتحرّكُ بها فؤادي هي لهُ . ولا اظن ان امرأة احبّت قرينها باخلاص اكثر مني

« ومعاذ الله ان أنازع الباري جلَّ اسمهُ في ما لهُ من الحقّ بابتلائي وامتحاني بل بعكس ذلك اقول اني قد ارتكبت الذنوب مراراً دون ان ينازعني المولى على صنيعي وقد كنتُ أزهي واتعجرف ولا أُشفق كما يجب على الفقير البائس . غير ان الامر الذي يحزنني جدًّا هو اني أُعاقب على ما لم أُخطئ بهِ ولذلك تجد قلبي منسحقاً منكسراً

« واعلم ان موسى هذا الخادم الامين الذي أوصلني الى هنا هو الذي اخبرني بخبرك وهو يعرفك حقّ معرفة لانهُ مرض قديماً مرضاً ثقيلاً فحملتهُ الى دير حصن سليمان وعالجتهُ بعناية ابويّة حتى شفي من دائهِ . فمنهُ عرفتُ انك لم تُعاقب على خطاياك وذنوبك

بل من اجل فضيلتك لا غير ولهذا فاننا من يومين قمنا سرًّا من مدينة البترون وزرنا في طريقنا مقام القديس جرجس في الحصن. وقد اتيتُ اليك لتشرح لي ما هو السرّ في عقابك وعقابي وتدنّي بمعونتك او على الاقلّ تذكر لي اسباب التعزية التي وجدتُها لنفسك

فاجاب الاب يوحنا قائلًا:

— لو لم اكن عارفًا ان شدّة الضيق هي التي ازاغت عقلك لجاوبتك كما جاوب الله قديمًا ايوب البار (٣٨ : ٢) : « من هذا الذي يُلبس المشورة باقوال ليست من العلم في شيء » . فيجب ان تعلمي ان الله عادل وان العدل قرين كل اعماله غير ان البشر في كثير من الاحيان لا يستطيعون ان يفهموا سرّها. ثمّ ان الله لا يجازي الشرّ بالشرّ وقط لم يعاقب احدًا من اجل فضيلته ولكنّه يتفق ان تتوارى مع الفضيلة نفسها اعظم الخطايا واشنعها اي الأثرة والانانيّة. وهكذا القول عني انا الذي تتوهّمينهُ اكثر اتضاعًا من جميع البشر . . .

— وما انا بمخدوعة في ظني

— اصيخي ايتها الابنة الى كلامي كما اصغت لكلامك. واعلمي اني ربّما كنت في تواضعي اشدّ الناس عجرفةً وكبرياء ليس تجاه الغير بل في داخل نفسي وقدام الله لاني لا اقدر على القول باني تحاميت دائمًا ما اذوقهُ من لذّة الانشراح الباطني من اعمالي؟ نعم ان الناس لا يلحظون هذه الحركات الخفية التي تثيرها محبّة الذات فتفسد بها احسن الاعمال ولكنّها لا تخفى على الله تعالى الذي يغوص اعماق القلوب ويعرف اسرارها ولا شكّ اني كمتوبة على هذه الكبرياء قد صرتُ شهيد الاتضاع

« هكذا ايضًا محبتك الحارّة لا بُدّ ان تكون ممتزجة بالعجرفة وحبّ الذات فانت تقولين انك لا تحبين غير زوجكِ والحقيقة هي انكِ تحبين نفسكِ قبل كل شيء. لانكِ تريدين ان يعرف لكِ المحبوب محبّتك ولا ترضين اصلًا بان يجهلها حتى لا يكون نصيبكِ كنصيب الشمعة تحترق وتنير وهي ساكتة فهذه المحبّة هي كلها غطرسة وزهو والمحبة لا تكون حقيقيّة خالصة الّا اذا كانت صافيةً ومنزّهة عن كل عاطفة شخصيّة

— ولكن محبتي ناجية من الاكدار ومنزّهة . . . والدليل على ذلك وقوفي امامك

— هذا مجرّد زعم منكِ ايتها الابنة. ولكن افحصي خفايا قلبك وكالطبيب الذي يشفي الجرح بالنار والمبضع جرّبي هذا الدواء الذي اصفهُ لكِ: اكتمي محبتكِ وانتِ

الرابحة لانك بقدر رغبتك في اظهارها يتمادى زين عنادًا في رفضها واياكِ ومقاومة شقيقتك بل اجتهدي في ان لا تكون لك حيثيَّة ولا مقام تجاهها واخفي ميلكِ امامها ولاسيَّما في حضور زين . وبعد مرور شهر على سلوكك بهذه الطريقة ارجعي اليَّ فاخبريني عن احوالك

فحينئذٍ صرخت راحيل قائلةً : ان الذي تشير بهِ ايها الاب هو الموت موت القلب فخير لي ان اموت مرَّةً واحدة

— لا بل أُشير عليك بالنجاة والخلاص اذهبي وأطيعي . قال هذا واغلق نافذة كوخهِ

وبعد مرور بضع دقائق سُمع صوت زوج من المجاذيف يضرب بايقاع مياه البحيرة التي كانت قد خمدت وسكنت . وكانت النجوم بادية في القبَّة الزرقاء . والجو صاحياً نقيًا ليس فيهِ سوى قليــل من الغيوم الرقيقة والقمر سائرًا الهوينا في طريقهِ وكل شيء في الطبيعة يشعر بالراحة والسكينة خلافًا لراحيل التي استولت على فؤادها عواصف البلبال

وبعد ان جلست في مؤخر القارب واشتملت بردائها جعلت تنظر وهي متشتتة البال الى ذاك المشهد الليلي دون ان يؤثر فيها جمالهُ الهادئ فمن جهة كانت ترى بساطًا من الماء تتلاعب فيهِ انوار القمر مترجرجة ومرتجفة ومن جهة اخرى تشاهد جبال عكار وقد اشتعلت في سفوحها نيران القبائل العربيَّة النازلة في سهل « الوعر »

ثمَّ انها اخذت تدمدم في سرّها قائلةً : ذهب الغرور وظهرت الحقيقة وعرفت اني مخدوعة في ظني . على انك ايها الرجل لم تُحسن فهم كلامي . . . . ومع هذا أَيجوز لي ملاءة احد غير نفسي ؟

فلمَّا وصل الاثنان الى الطرف الغربي من السدّ الكبير ركبا الخيــل التي كانا قد ربطاها هناك وجدّا في السير وكان سفرهما شاقًا متعبًا نظرًا لكثرة الحجارة البركانية في الوعر وبعد ساعة من الزمان ادركا محلة العرب وكانا قد اهتديا بنارها في وسط الظلمة . وفي اليوم التالي عند طلوع الفجر سارا في طريق جبل عكّار مارين بلفتايا وحربعــار؛ وسهل البقيعة ولمَّا وصلا الى البترون كان الليل قد ارخى سدولهُ

وكانت الخادمتان مريم وفريدة متشاغلتين كعادتهما في المنزل وكأنّهمــا ذهلتا عما كانتا قد عزمتا عليهِ من مدَّة فكانتا تتحدثان عن غياب مولاتهما باحثتين عن اسبابهِ

(ستأتي البقيَّة)

العوائد اللبنانية

لحضرة الاب الفاضل الخوري يوسف تاتي الماروني

(لاحق بسابق . راجع المشرق ٣ : ٥٨٦)

في الباب الاحداث (تتمَّة)

١٢ (الاجَّاصة) وفي لغة العامَّة النجاصة هي الشجرة المعروفة . واولاد لبنان يدعون بذلك احد رفاقهم يجلسونهُ على حجر ويقيمون عليهِ حارسًا و « ناطورًا » يدافع عنهُ كما يكفّ الناطور ايدي السابلة عن اكل الاثمار . امَّا جماعة الصبيان فيهجمون على الاجاصة من كل اوب ويحاولون ضربها فان نجحوا دون ان يمسكهم الناطور قالوا لهُ : « أكلت نجاصك يا ناطور » وان امسك الحارس منهم احدًا اجلسهُ على الحجر بدلًا من الاجاصة الاولى التي تضحي ناطورًا وصار الاسير اجَّاصة اي هدفًا للضاربين وهلمَّ جرًّا

١٣ (الطُّمَيش) ويُقال لهُ « الغُمَيض » ان يجتمع الاولاد فيغمضون عيني واحد منهم ثمَّ يختبئون فاذا تواروا رفع هذا النقاب عن عينيهِ وجدَّ في اثرهم فاذا اصاب منهم احدًا كان ذاك الخاسر ونادى رفقتهُ فيغمّضون اعين الاسير ويفعلون كما مرَّ . وللفرنج العاب تشبه هذا اللعب (cache-cache, colin-maillard)

١٤ (مَن نقَّفك يا زعرورة) بعد ان اغمض الاحداث اعين ولد منهم كما في اللعب السابق يمدّ المغمَّى سبَّابتهُ فينقفهُ عليها احد المجتمعين حينئذٍ تقول الامّ وهو الولد الذي حجب عيني النازل : « مَن نقَّفك يا زعرورة » فان دلَّ عليهِ اقام النـاقفَ في مقامهِ . والَّا فيتحمَّل النقف حتى يعرف الضارب . وتصير هذهِ اللعبة على طريقة اخرى يغطّي رأس المضروب فيجعل كفَّهُ على ظهره مبسوطًا ويضربهُ عليها اللاعبون ويسألونهُ من الضارب (راجع انجيل لوقا ٢٢ : ٦٤)

١٥ (الوَتد) يعمد ولدان الى ارض نديَّة وحِلة ولكلّ واحد وتد (ويقولون لهُ بالتحريف « ودّ » و « وتّ » و (في البقاع) « نت » و « معتوت » او « مأتوت ») فيرشق الاوَّل وتدهُ في الارض ثمَّ يتبعهُ الآخر ويسعى في غرز وتدهِ في مكان الاوَّل فان زحزحهُ وقلبهُ عن « بيشهِ » اي حفرتهِ ربحهُ . والَّا سحب الاول « معترتهُ » وضرب وتد خصمهِ

وهكذا يتناوبان الى ان يزيح احدهما وتد الآخر فيربحهُ . ويجوز ان يكثر عدد اللاعبين فيتصرَّفون بلعبهم على طرائق شتى

١٦ (الطابة) وهي كرة اللعب المعروفة يلعب بها احداث لبنان على انواع مختلفة اشهرها طابة المِلقّ وطابة خوربا

اولًا « طابة الملقّ (١ » يقيم الاولاد لهم زعيمين يختار كلٌّ منهما فرقتهُ ثمَّ يقتسم الى فرقة طالعة وفرقة نازلة تدلُّ عليهما القرعة (٢ ويجعلون بينهم حجرًا يدعونهُ « تكليشة » يجب ان تتجاوزها الطابة حين يقذفها اللاعب والَّا فلا « تُحسب ضربتهُ » اي لا يُعمل بها . ويضعون حجرًا آخر مسافة ويسمّونهُ المحجّ . ثم يباشر الطالعون اللعب فيضرب احدهم الطابة بالمِلقّ ثم يركض الى المحجّ ليمسَّهُ برجلهِ . فاذا عاد سالمًا دون ان يضربهُ احد من فريق النازلين بالطابة اكمل لعبهُ الى ثلاث ضربات دون حجّ ثم يصير الدور الى احد رفاقهِ وهكذا حتى الاخير . امَّا اذا أُصيب عند حجّهِ او اذا اخطأَ الطابة عند ضربها ثلاث مرَّات فعُدَّ ميتًا وصارت النوبة الى غيرهِ . وكذلك يموت الضارب اذا اخذ النازلون الطابة « توزًا (٣ » اي امسكوها في الهواء قبل هبوطها على الارض او ان لم يمكنهُ ان يذهب الى الحجّ او اذا « حرَّمت » الطابة اي تجاوزت الحدود المعيَّنة. وبين هذا اللعب ولعب الفرنج المسمى (balle au camp) بعض الشبه

ثانيًا « طابة خوربا » وتُدعى في بعض المحلَّات « طابة الرَّتّ » ينقسم فيها الاولاد قسمين متساويين عددًا ويرمون الطابة في الفضاء . فاذا لقفها احد الفريقين لعب بها ورفاقهُ

---

١) ان المِلقّ في اصطلاح صبيان لبنان خشبة تُضرب بها الطابة . وفي اللغة لقَّ عينهُ اذا ضربها والعامَّة تقول « فلان دائر من بيت جفّة ليت لقّة » يريدون انهُ فارغ لا شغل لهُ سوى التجول من بيت الى بيت فيلطمهُ هذا ويشتمهُ ذاك

٢) يتَّخذون لذلك « دحّة » اي شقفةً من الخزف او حجرة ملساء يبصق الزعيم على احد وجهيها ويدعو الوجه الناشف صيفًا والمبلول شتاء . ثمَّ يسأل عقيد اي زعيم الفرقة الثانية قائلًا : « صيفكم او شتاكم » فيختار ما يريد . ثم تلقى الحجر في الفضاء بينا يصرخ اللاعبون : « يا صيفنا يا شتانا معنا لا مع عدانا » فاذا هبط الحجر كانت الفرقة الطالعة التي وافق وجهُ الحجر مدلولها . وهذا الاقتراع يصير في العاب كثيرة

٣) يقولون تاز الطابة واخذها توزًا وتُوطًا وتوازًا اذا « استلقاها » في الهواء . والتوز من ألعاب العرب وهي خشبة يلعبون بها بالكجة . والكجة خرقة يدوّرونها فيتقامرون بها

اي انهم يلقونها الى كل فرد من أفراد ذلك الفريق ويختلط بهم الفريق الآخر وهو يسعى جهدهُ بان ينزع الطابة منهم · وعادةً يقام لكل لاعب خصم يدعونهُ «ترنا» (١) غايتهُ ان يختلس الطابة منهُ ويلعب بها مع رفيقهِ · الّا انَّ للّاعب حقًّا ان يضرب الترين عند تلقيهِ الطابة دون ان يستطيع ذاك بان يقابلهُ بالمثل لكن يمكنهُ ان يحيد عن ضربهِ فقط

١٧ (الدحوة) هي حجرة مدوَّرة يجدُّ فريق يدعى طالعًا في ان يدخلها في حفرة يحمي عنها فريق آخر يدعى نازلًا · فاذا اقترب الطالعون من الحفرة وهم يدحون الدحوة بعصيّهم نحوها يركز احد النازلين عصاهُ في الحفرة · ثم يلتحم الفريقان ويسعى الطالع بان يخرج العصاة المركوزة وربّما حطّموها بعصيّهم ليدخلوا الدحوة في الحفرة بينما يجتهد النازل ان يدافع عن العصاة المذكورة وان يطرد الدحوة ويقذفها الى بعيد · فان تمكَّن الطالعون من وضع الدحوة في الحفرة كانوا الظافرين · وهذا اللعب شائع في السهول لا يعرفهُ اهل لبنان · ولشبّان بيروت لعب آخر يشبهُ يدعونهُ الصارة

١٨ (الصارة) هي كالدحوة السابق ذكرها وتدعى ايضًا الكرة في البقاع · ولعب الصارة على هذا المنوال · يجتمع عدد من اللاعبين ولكل منهم عصاة ثمَّ يحفرون لكلّ واحد منهم حفرةً في دائرة معلومة الّا حفرة واحدة يجعلونها في وسط الدائرة · فاذا حُفرت الحُفر ركضوا اليها ليركز كلٌّ منهم عصاتهُ في الحُفر الواقعة على الدائرة · فيبقى واحد منهم لا حفرة لعصاهُ الّا الحفرة التي في وسط الدائرة فيقتضي عليهِ بان يدخل بعصاهُ الدحوةَ او الصارة في تلك الحفرة · بينما يسعى الآخرون بان يصدُّوهُ عن ذلك ويبعدوا الدحوة بعصيّهم الى مسافات بعيدة · فان تمكَّن من ركز عصاتهِ في حفرة احد اللاعبين عند فراغها قام ذاك مقامهُ ووجب عليهِ ان يحامي عن الصارة ليدخلها في حفرتها الوسطى · وان ادخلها في هذه الحفرة دون ان يمنعهُ اللاعبون قُضي على كلّ اللاعبين ان يبدلوا حفرهم وامكنهُ هو ان ينزل عصاتهُ في احداها وقت هذه الحركة ويُلزم صاحبها ان يقوم مقامهُ وان لم يفعل عاد الى المدافعة عن الصارة وادخال الدحوة فيها ثانيةً وهلمَّ جرًّا

---

١) وهي اللفظة السريانية ܬܐܘܡܐ اي اثنان · وقد صاغوا منها فعلًا فقالوا تارنَ فلانًا اي رافقهُ

٢٠ (القرد المربوط) والبعض يدعونهُ « القطّ المربوط ». يأخذ الاولاد وتدًا فيرزُّونهُ في الارض ويربطون فيهِ حبلًا يمسك طرفهُ احدهم وهو القرد المربوط. ثم يصفُّون احذيتهم حول الوتد ويحاولون نشلها من بين يدي القرد ليضربوهُ بها. امَّا هو فيتَّخذ حذاءهُ كمقرعة ليردَّ هجمتهم فيدور حينًا الى جهة وطورًا الى اخرى حتى يوقع بواحد من الهاجمين فيمسخهُ قردًا بدلًا منهُ ويسرع الباقون الى صفهِ حتى يقبض على الحبل. والفرنج يدعون مثل هذه اللعبة « الشيطان المربوط »

٢١ (طرَّة امَّا نقشة) يأخذ لاعبان قطعة من النقود على احد وجهيها « طرَّة » اي الطغراء السلطانية وعلى الآخر النقشة او الكتابة فيرميها احدهما سائلًا: « طُرَّة امَّا نقشة » فيختار قرينهُ ما شاء. فاذا وقعت القطعة كما قال كان هو الرابح والَّا خسر. وقد يتفنن الاولاد في هذا اللعب

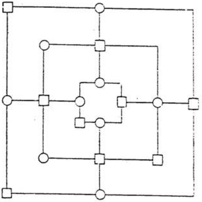
٢٢ (الرنك) لفظة فارسيَّة معناها اللون وهو لعب يتلهَّى بهِ اهل البقاع قريب من اللعب السابق لكنَّ اللاعبين يعمدون الى خشبة كالمسطرة قد نُقش على كل وجه منها رسمٌ فيأخذ اللاعب الرنك باحد طرفيهِ ويرميهِ على الارض فينقلب مستويًا على احد وجهيهِ. فيربح او يخسر حسبما يوافقهُ الرنك او لم يوافقهُ. ومن ثمَّ تفهم معنى قولهم في المثل: « تغيَّر الرنك » اي انقلبت الامور وتغيَّرت الحال

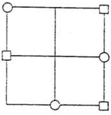
٢٣ (الدريس) لعلَّ هذه اللفظة من اللاتينية tres او اليونانية τρεῖς اي ثلاثة ويقال ايضًا « تريس » بالتاء. والدريس عبارة عن ثلاثة تربيعات داخلة في بعضها يجمع بينها اربعة خطوط مستقيمة في وسطها (راجع الشكل الاول ص ٥٦٤). ويلعب كلٌّ من اللاعبَين بتسع حصًى ولذلك يُعرف بدريس التسعة. ومنهُ صنفٌ آخر يدعى دريس الثلاثة لانَّ كل اللاعب يأخذ ثلاث حصًى فقط ويُتخذ للعب تربيع مصلَّب كما تراهُ في الشكل الثاني (٥٦٤)

وطريقة اللعب فيهما ان احد اللاعبين يبدأ فيضع حصاةً على زاوية من الزوايا ثم يضع رفيقهُ حصاة على زاوية غيرها فاذ صفَّ اللاعب ثلاثًا في خط واحد فلهُ ان يأخذ حصاةً من حصى رفيقهِ. وبعد ان يضعا سائر الحصى على الخطوط ينقل احدهما واحدة من حصاهُ الى الزاوية القريبة الملاصقة ابتغاء ان « يطبّق » الدريس اي يجمع ثلاث حصى على خطٍ واحدٍ وكلَّما طبَّق اللاعب دريسًا يأخذ حصاة من اللاعب الآخر

غير انهُ لا يجوز اخذ حصاة من دريس مطبَّق بل من سواه ُثمَّ من طبَّق دريساً فلهُ ان يفتحهُ من جهة وينقل حصاة من جانبٍ آخر يطبِّقهُ بها وان أراد ان يطبّقهُ بالحصاة نفسها التي نقلها منهُ وجب ان ينقل قبل ذلك حصاةً من غير جهة ثم ينقل حصاة الدريس.

ومن امثال العامَّة: « طبَّقَ الدريس » يقال في الامر الذي استجمع شروطهُ فانتهى





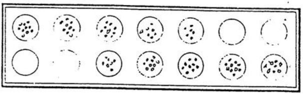
الشكل الاول: دريس التسعة — الشكل الثاني: دريس الثلاثة

٢٤ (المنقلة) المنقلة خشبة مستطيلة يُحفر فيها اربعة عشر بيتاً (١ في كل جانب سبعة ويجعل في كل واحد سبع حصًى ووجه تسميتها هكذا لان اللاعب لا يزال ينقل حصاهُ من بيت الى بيت. وللعب فيها طريقتان « العاقلة والحوتا (٢» اما العاقلة فهكذا: يأخذ اللاعب حصى احد البيوت التي من جهتهِ ويوزعها واحدةً واحدةً في كل بيت مبتدئاً من اليمين الى الشمال ثم يفعل مثل ذلك اللاعب الثاني وهلمَّ جرًّا مناوبةً. فاذا فرَّق احدهما حصاهُ ووجد في آخر بيت وصل اليهِ اثنين او اربعة اخذها وان وَجد واحدة او اكثر لم يأخذ شيئاً ثم يلعب الآخر وهكذا حتى تفرغ الحصى من عامَّة البيوت

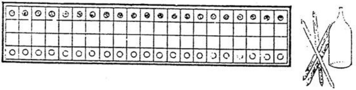
امَّا « الحوتا » فطريقتها ان يأخذ احد اللاعبين حصى احد البيوت من جهتهِ ويوزعها واحدة واحدة في كلّ بيت فاذا فرغ منها يأخذ حصى البيت الذي فيهِ انتهى التوزيع ويلازم هذا العمل حتى ينتهي التوزيع الى بيت يوجد فيهِ حصاة واحدة او اثنتان او

١) والعامَّة تقول جرنًا او خانةً ٢) الحوتا مؤنث أحوت وهي الحمقاء

اربعة فان وجد واحدة لم ينلْ شيئاً وان وجد اثنتين او اربعة يأخذها ويأخذ الحصى التي في البيت المواجه لها. ثم يلعب رفيقهُ وعلى هـذا المنوال يستأنفان اللعب حتى يأتيا على سائر الحصى. ويلعب المنقلة معروف في اواسط افريقية بين قبائلها المتوحشة كما افادنا المرسلون في تلك الاصقاع



الشكل الثالث : المنقلة



الشكل الرابع : الطاب

٢٥ (الطاب) لوحة مستطيلة تشبه المنقلة لها اربعة صفوف في كل منها واحد وعشرون بيتاً يتّخذ اللاعب فيه احدى وعشرين حصاةً ويصفُّها على آخر صف من جهتهِ في كل بيت واحدة والحصى تدور من اليمين اللاعب الى شماله في الصفَّين المتوسطين بيتاً بيتاً حتى تنتهي الى آخرها ثم يؤخذ اربعة شظايا من القصب ذات وجهين اسود وابيض

وتوضع قنينة تجاه الطاب. واسلوب اللعب هكذا: يرمي اللاعب الشظايا على القنينة فان جاءت «طابًا» يقدر ان ينقل حصاة من يمينه الى اول بيتٍ في الصف القريب والّا فيلعب الثاني. والطاب هو ان تتجه نحوك الشظايا جهة سوداء وثلاث بيض واذا نقلتَ حصاةً الى الصفّ الثاني فيمكنك ان تنقلها بعدُ اتاك طاب او لم يأتِك امّا حصى الصفّ الاوّل فلا تتحرّك الّا عند وقوع الطاب وحينئذٍ تتقدّم خانةً واحدة

ولنفرض انك نقلتَ حصاةً من الصفّ الاول حينئذٍ ان ضربت القصب وجاءت الجهات الاربع سودًا فيمكنك ان تنقل الحصاة اربعة بيوت الى الامام وان جاءت الاربع بيضًا فانقلها ستة وفي هذه الاحوال الثلاث لك الحقّ ان تلعب ايضًا قبل ان تسلّم رفيقك القصب الى ان ينقلب على وجه غيرها. وفي خلاف هذه الاحوال تنقل الحصى بقدر عدد الاوجه السود فتكفّ عن اللعب ويدعى ذلك دكًّا. هذا وان نقلت حصاتك ولقيت حصاة رفيقك في البيت الذي تنقل اليه فلك الحقّ ان تأخذها وان لقيت احدى حصاك فتقدّمهما جميعًا وتسير كذلك حتى تبلغ بيت الحصى وهو الصفّ الرابع وفيه تؤكل حصى الخصم. وهذا اللعب لهُ اساليب اخرى نضرب عن ذكرها صفحًا. وقد اخذت العامّة مثلًا من الطاب قالت: «اذا جاءني عليك طاب ادبرك» معناه ان مكّنني الله منك لافعلنّ واصنعنّ

هذه اخصّ اساليب اللعب في لبنان وصفناها بوجيز العبارة وقد اهملنا بعض العاب شائعة كالشطرنج والنرد او الطاولة (tric-trac) والشدّة والورق لا حاجة الى وصفها. ومنها ما هو حديث العهد كالداما (damier) والجُلّة والدومينو (domino)

(ستأتي البقيّة)

كنيسة سيدة السفينة

نبذة لسيادة الارشندريت الكسيوس كاتب نائب عام الرهبانية القانونيّة الباسيليّة (البلديّة) لدى الكرسي الرسولي

رغب الينا مَن طلبتُهُ عندنا لا تُردّ ان نبيّن كيف اتصلت كنيسة سيدة السفينة الى ملك رهبانيّتنا الباسيليّة فجئنا بهذه العجالة نقول:

لقد ذكرنا في مجلة المشرق (٣: ١٠٦٨) ملخّص كيفيّة مرض ووفاة الصالح الذكر

السيد ناوفيطس نصري مطران صيدنايا وانهُ كان من ابناء رهبانيّتنا ووصفنا لمحة وجيزة الاحتفال الحافل الذي أقيم لاتمامه في رومية العظمى وما جرى وتتنذر على يدهِ من الحوادث غير العادية وان قد أُطلق عليهِ لقب مكرَّم الى غير ذلك من الحقائق حتى قامت أكثر سكّان رومة وقعدت لما سمعوا وشاهدوا

فقد كان من جملة الشهود الحضور بتلك الحوادث نيافة الكردينال بلوكا وهو اسبانيّ الاصل ورجل مشهور بالتقى والصلاح وعمل الخير والاحسان فاجتمع بالكونت عازار عجوري الحلبي المولد وهذا كان جنتيليوم البلاط الفاتيكاني ثم سألهُ زيادة ايضاح عن اصل السيد ناوفيطس وحياتهِ وعن الجمعيّة الرهبانيّة التي هو ينتمي اليها وما اشبه. فشرح لهُ الكونت عجوري اصل الرهبانيّة القانونيّة الباسيليّة وانها فرعٌ انسلخ عن دير الروم في البلمند جهة طرابلس لعدم قبول هذا الفرع قَطْع العلائق مع الكرسي الرسولي وكيف ابتنى لهُ قلالي صغيرة اولاً جهة وادي عتيق يدعى الى اليوم وادي الجماجم وهي ما بين قرية بتغرين والشوير وان رهبان هذه الجمعيّة بينهم الخطباء المفلقون والمرسلون المنتخبون والزهّاد والابرار والعلماء والشعراء الى غير ذلك ممّا خلب فكر الكردينال ومن ذلك الوقت عقد النيّة على اقامة فرع جديد لهذه الرهبانية في رومة العظمى نفسها وكذا تمَّ

على ان نيافة الكردينال بلوكا المذكور بعد ان تأكّد صحّة كل ما أطلعهُ عليهِ الكونت عجوري من اعمال رجال الرهبانيّة المذكورة وكمال تجرّدهم وانفرادهم لمصلحة الكنيسة الكاثوليكية وانقطاعهم على الكرز واعمال الرسالات المقدّسة وما افادوا بهِ المؤمنين وغيرهم ايضاً. بعث برسالة الى رئيس عام هذه الرهبانية وكان وقتئذ الطيب الذكر والشاعر المفلق الخوري نيقولاوس صائغ يقول لهُ فيها « انني قد سمعت بحسن مناقب الرهبانية التي اقامك الله عليها رئيساً عاماً. ولهذا ارغب من محبّتك ان ترسل من قِبلك رهباناً يكونون كهنة ليقيموا في رومة ومهما قدرتُ عليهِ بشخصي من اعانتهم فلا اؤخرهُ. وخاصّةً انني اعتني واسعى ليعطيهم الحبر الاعظم مكاناً في رومة يكون تابعاً للرهبانيّة »

فاذ بلغت هذه الرسالة يد الرئيس العام سرَّ بها ثم اوعز الى القس نكتاريوس ميره والقس بروكوبيوس عبد النور الطيب (وهما حلبيّان) فركبا البحر وقصدا رومة. واذ

وصلاها ورواجها نيافة الكردينال بلوكا لقيا عنده من الهشاشة والاكرام ما اوعب قلبهما فرحاً والسنتهما شكراً وحمداً

وكان انَّ الكردينال المذكور بعد ايام وجيزة استدعى الكونت عجوري والمونسنيور يوسف السمعاني وكلفهما ان يختارا مع الابوين المقدَّم ذكرهما كنيسةً موافقة ومحلاً يناسب لسكنى الجمعيَّة المنوَّه بها . فبعد التنقيب اتفق كلهم على ان كنيسة سانتا ماريًا إين دومينيكا (S.Maria in Dominica) المعروفة بسيدة السفينة (Navicella) هي الوافية بالغرض . وكان اذ ذاك محامياً عنها الكردينال كونسالفي (اذ لا بدَّ لكل كردينال عند تسميته كردينالاً من ان يُعيَّن محامياً لاحدى كنائس رومة) وعليه فتكون هذه الكنيسة من الكنائس الممتازة والكبرى في رومة . ومن احبَّ الوقوف على تفاصيلها عليه بمطالعة المختصر الفرنسي الذي وضعناه مؤخراً باللغة الفرنسيَّة الى ان يتوفَّق لنا وضعهُ بالعربيَّة

حينئذٍ رفع الابوان عرضاً لقداسة البابا اكليمنضوس الثاني عشر يستميحانهِ الكنيسة المذكورة لرهبانيَّتهما مع الغُرف اللاصقتها وقد أحلَّ طلبهما محلَّ القبول وعليه اصدرت الحضرة الباباويَّة براءة هذا تعريبُها :

ان سيدنا يسوع المسيح شمس البرّ واساس ايماننا ومتمّمهُ الذي كالنسر يظلل عشّهُ ويحوم على فراخهِ ويبسط جناحيهِ فيحتضنهم ويحملهم على منكبيه . والذي اراد ان يتشبه بالدجاجة بما انها تجمع فراخها تحت اجنحتها . ثم انهُ من جملة شرف الحبّة الالهية وزينتها الخصوصية التي وضعها لعروسته الكنيسة الكاثوليكيَّة هو انهُ قد ارتضى ان يوسمها دون غيرها بهذه العلامة الجليلة اي ان تكون لجميع المؤمنين اللاجئين الى حضنها من كل الامم الموجودة تحت السماء . فلاجل ذلك احبار الكنيسة الرومانية الاعظمون الذين اقامهم رئيس الرعاة نيابةً عنهُ على الارض والى انقضاء الدهر قد اقتدوا بمثالهِ على الدوام اقتداءً كاملاً بقدر ما امكنهم من الخضوع الواجب اذ احتضنوا بكل محبةٍ ومودة ليس فقط الشعوب القادمين من البلدان البعيدة والاماكن الشاسعة نحو امّ سائر الكنائس ومعلمتهنّ بل انهم لن يزالوا مرسلين الى سائر جهات المسكونة رسلاً تثبّت في كلّ مكان البنين وترشدهم وتجذبهم اليها . فنحن ايضاً نظير خلفائنا ليس لنا سرور اعظم من سرورنا عندما نأتي اليمة الرومانية المحظوبة لنا خطبة روحية ببنين جُدداً وهؤلاء البنون ولو انهم وُلدوا بغير امكنة لكنهم انما ارتشدوا هنا ليرجعوا فيما بعد ويرشدوا اخوتهم الى طاعة الام العامَّة . فمن ثم لم نتثاقل قط عن اقتفاء غيرة سلفائنا الكليَّة الحمد . واثباتاً لذلك قد وهبنا في مدينتنا هذه رومة المشرقة وغيرها منازل لبنين لنا اعزاء من طوائف مختلفة كذلك والان بموجب براءتنا هذه قد وهبنا ايضاً اولادنا الاعزاء الذين قدموا من بلاد سوريَّة الى رومة اعني الرهبان الباسيليين الروم الكاثوليكيين من مجمع دير القديس يوحنا الصابغ الذي هو قرب الشوير في جبل لبنان كنيسة القديسة مريم المعروفة بسيدة السفينة

وذلك برضى وكيلها والدنا العزيز نيقولاوس كوشيا كردينال وتس الكنيسة الرومانية المقدسة ورضا الرهبان الباسيليين المذكورين الذين بقوة منحتنا هذه قد تملكوا الكنيسة المذكورة وامتلكوا التصرف بالمنازل الصنار الملاصقتها وبموجوداتها المقدسة والمالية حرّر برومة حذاء كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى في ٢٣ من تموز سنة ١٧٣٦ وهي السنة الخامسة من حبريتنا

فبقوة هذه البراءة تملّكت الرهبانيّة هذه الكنيسة وبعد ستة ايام استلم الابوان نيكتاريوس وبروكوبيوس الكنيسة وسكنا الغُرَف اللاحقة بها وقد رُتّب لهما علوفة (راتبا) شهريّة اربعين ريالا رومانيا. ودامت هذه العلوفة الى ان توفي الكردينال بلوكا بصالح الذكر وطيب السيرة

فيكون ملخّص ما تقدّم ان المحرّك الاول لذهاب كنيسة سيدة السفينة الى رهبانيّتنا هو ميتة الطيب الذكر البار المطران اثوفيطس امّا العلوفة فما هي اليوم الّا اربعة وثلثون فرنكا ايطاليّا. ولمّا ان افترقت الرهبانيّة المذكورة سنة ١٨٢٩ الى شعبين بلدي وحلبي بقيت كنيسة السفينة المقدم ذكرها باشتراك الشعبتين معًا الى يومنا هذا

الفتاة المسكينة

للشاب الاديب حلمي مصري احد تلامذة الخطابة في كليّة القديس يوسف

عرّبها عن قصيدة افرنسيّة تدعى (la pauvre fille) للشاعر الافرنسي اسكندر سومه (Al. Soumet)

وَلَيتُ عن هذا المنام القلقِ   اذ ليس فيه خيالُ تفريجِ يقي
فظللتُ اهبطُ في الشّعاب وارتقي   سحرًا واعلامُ الضحى لم تشرقِ
وحشاشتي في لوعةٍ وتحرّقِ

دور

بينا على الغصن الرطيب الطائرُ   بلذيذ شجوٍ فضلَ ربّهِ شاكرُ
والامُّ نحوهُ بالغذاء تبادرُ   آهًا فشُقّت مهجةٌ ومرائرُ
وانهلّ سابقَ مدمعي المتدفّقِ

دور

لِمْ ليس لي امٌّ ترقّ لشقوتي   لِمْ لَمْ اكن كالطير ذات مسرّةِ

فالطيرُ قرَّ قرارهُ في ايكةٍ فوق الغصون الزاهرات الغضَّةِ
ومن الندى المنظومِ حولهُ يستقي

دور

ما لي حمىً في كنفهِ اتردَّدُ كلَّا ولا مهدٌ عليهِ ارقدُ
مَن لي بذي حلمٍ وفضل ينجدُ اني فتاةٌ ليس لي من يعضدُ
ألفيتُ قرب كنيسة الحي التقي

دور

اين الاحبَّةُ اينَ امي اين هي فالوجدُ باقٍ والجوى لم ينتهِ
ما ذقت منهم شهد أُنسهم الشهي بل ذقتُ كاسات النوى بتولُّهِ
وأليفَ ودٍّ بعدهم لم أرزقِ

دور

يا ما أُحيلى الاهلَ اذ تتجمَّعُ إبَّان يُسدل من ظلامٍ برقعُ
هم يصطلون بقرب نارٍ تسطعُ في غبطة بينا انا اتهجَّعُ
اشكو الفراق بدمعيَ المترقرقِ

دور

وبناتُ هذا الحيِّ باتت في طربْ متنافساتٍ بالاوائل والنسبْ
متناشداتٍ مائساتٍ كالقضبْ متبرِّجاتٍ في الحرائر والقشبْ
وانا أُصابُ بسهمِ فقرٍ مرشقِ

دور

وانا الوحيدة نحو ظلِّ المعبدِ امضي فبيتُ الله مأوى المطردِ
وهناك اقضي ليلتي حتى الغدِ بتنهُّدٍ وتهجُّدٍ وتعبُّدِ
عَلِّي بمن قد فارقوني ألتقي

دور

يا طالما جُبتُ الديار بعبرةٍ قلبي على جمر الغضا من حسرتي
حتى ارى اثرًا على الارض التي امي بادمعها الذوارف بلَّتِ
لكنَّ دهري من صروفٍ لم يَقِ

دور

يا جُلَّ ما طفتُ القبور بلا اهتدا شوقي هداني والتولُّه ارشدا
امضي وقلبي في رداءٍ من ردى والمدمع المُهراق خدَّيَّ خدَّدا

واقول من يأس ايا نفسي اخفقي

دور

أنفقتُ ايامي بسحّ الادمع بين القبور وفي المكان البلقع.
ها قد ذكتْ نار الجوى في اضلعي اوّاه يا اماهُ هل من مرجع.

حتى تريْ مسكينةً فتشفقي

مطبوعات شرقية جديدة

Vsev. Miller

Ocrk Fonetiki ebrejsko-tatskago narecia

مختصر قواعد اللغة العبرانية التاتكاجية

من اللغات التي تتكلّم بها القبائل الخاضعة لحكم الروسيَّة لغة تجمع بين اصول اللغات الساميَّة والعجميَّة تدعى العبرانية التاتكاجيَّة لم يدرس احدٌ حتى الان خواصّها. فالاستاذ الروسي ميلر صرف همَّتهُ الى تعريف هذه اللغة وقد وضع لها كتابًا طبعهُ في موسكو السنة الماضية واستوفى الشرح عن احكامها

كتاب الشبية المعروفة بالصلوات الليلية والنهاريَّة

عُني بطبعهِ حضرة القس افرام الديراني احد مدبّري الرهبانية الحلبيَّة المارونيَّة

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت (سنة ١٩٠١ · ص ٦٦١ بقطع ٣٢)

هذا المجموع من اقدم ما شاع من الصلوات عند الموارنة نُشر لاول مرّة في رومية العظمى سنة ١٥٨٤ بالحرف الكرشوني في مطبعة دومينيك باسا (D. Basa) ثم كُرّر طبعهُ مرارًا في امّ المدائن وطُبع في الشرق بعدئذٍ طبعات عديدة (راجع المشرق ٣:٢٥٧) فلا حاجة الى وصفهِ. والطبعة الجديدة بالحرف السرياني الجميل الذي سُبك حديثًا في مطبعتنا. وقد أُتقن تجليدهُ وصُححت عبارتهُ. نفع الله بهِ نفوس المؤمنين

Statisque de l'hopital francais

de la S^te^ Famille à Bethléem 1897-1900, Jérusalem 1901, p. 33

برنامج المستشفى الفرنسوي في بيت لحم

هذا البرنامج وضعهُ الدكتور النطاسي فيليب بركات وقدَّمهُ للمؤتمر الثاني الذي

عُقد في اواسط ايار في مكتبنا الطبي. والدكتور المذكور قد تولى تطبيب مرضى المستشفى الفرنسوي منذ اربع سنوات بهمّة ناهضة احرزت لهُ ثقة الجمهور فاحب ان يختصر بهذه المقالة تاريخ المستشفى المذكور وما وجد فيهِ من الامراض المختلفة وما استعمل لعلاجها من الادوية. والبرنامج بالفرنسوية طُبع طبعًا حسنًا في مطبعة جديدة انشأها الخواجا ح. حنانيا ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ مقالة افرنسية لحضرة الاب ه. لامنس عن كتابات بلاد النصيرية

La pays des Nosairis, nores archéologiques par le P. H. Lammens, *Extrait du* Musée Belge, 1900, pp. 44

٢ مختصر تاريخ كنيسة سيدة السفينة بالفرنسوية للسيد الارشيمندريت الكسيوس كاتب (راجع المشرق ص ٥٦٦–٥٦١)

٣ طريقة جيدة للتأمل في اسرار الوردية المقدسة طُبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠١ (ص٤٥)

٤ قلادة الثناء وفريدة المناء لسيادة المطران بولس بصبوص. قصيدة للشاعر الاديب يوسف افندي غنّام ثابت

شذرات

ثاوفيطوس مطران صيدنايا كتب لنا القس جرجس منش الحلبي الماروني ما نصهُ: نشر الارشيمندريت الفاضل ا. كاتب طرفةً من ترجمة هذا الاسقف في المشرق الاغرّ (٣: ١٠٦٨) وطلب من «ذوي الغيرة...من اية طائفة ومن اية بلدة كانوا» ان يوافوهُ بما عندهم من المعلوميات عنهُ. فاجابةً لطلبهِ نفيدهُ بأنَّا رأينا منشورًا انفذهُ البطريرك اثناسيوس الرابع في ٢٣ تموز من سنة ١٧٢٤ الى هذا مطران صيدنايا يوليهِ بهِ على ابرشية معلولة لكون اسقفها «سار الى بلاد الكرج وعجز عن الرجوع الى كرسيهِ» ثم يقلدهُ زمام «راهبات دير صيدنايا ليمنع عنهنَّ سطوة الخوارج ودخول العوام وغير ذلك مما يؤذي الراهبات المتعبدات ويبلبل احوالهنَّ» ثمَّ يهبهُ عشور الابرشيتين «صيدنايا ومعلولة» ليتمكَّن معها من القيام باودهِ. هذا ما رأيناهُ حريًّا بالذكر من هذا المنشور الذي جاء في مجموع خطّي لنعمة الله الملكي الحلبي احد كتبة اسرار البطريرك اثناسيوس المذكور. والسلام

ظاهرة جويَّة — مساء يوم الاثنين ١٠ الجاري الساعة ٧ و٨ افرنجيَّة سطع في سماء بيروت نور عظيم كاد يبهر الانظار ودام ٥ ثوانٍ وكانت وجهتهُ من الشرق الى الغرب. وكان اشبه بشملة نار متسعة الجوانب ظنَّ الذي رآها انها هبطت في بيروت. وقد شاهدها كثيرون في الشيَّاح ورأوا لها قبل ان توارت كالكرة النارية وسمعوا بعدئذٍ بصوت يشبهُ قصيف الرعد. وهذا الدوي سمعهُ ايضاً استاذ الطبيعيَّات في مكتبنا الطبي

ترجمة الانجيل لعبد الله زاخر — من عجيب ما قرأنا في الضياء (ع١٦ص٥٠١) انَّ المرحوم عبد الله زاخر عرَّب الاناجيل الاربعة وانَّ ترجمتهُ شائعة كثر تداولها بين العامَّة. فطلبنا ما عسى ان تكون هذه الترجمة الشائعة ألعلَّ جناب الشيخ يريد الاناجيل المطبوعة في الشوير في اواسط القرن الثامن عشر الَّا انَّ هذه الترجمة ليست للمرحوم عبد الله زاخر وهي قد طُبعت في حلب سنة ١٧٠٦ اي خمسين سنة قبل الطبعة الشويريَّة وذلك بهمَّة البطريرك اثناسيوس الدبَّاس. وليس بين الطبعتين اختلاف قط. والشائع بين العلماء انَّ هذه الترجمة لعبد الله بن الفضل الانطاكي الذي عرَّب كل الاسفار المقدَّسة في القرن الثاني عشر ولدينا نسخ قديمة مخطوطة تؤيد رأينا. وكذلك بحثنا في ترجمة الطيب الذكر عبد الله زاخر فلم نجد انهُ عرَّب الاناجيل وانَّما يُذكر فقط في مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص٤٨) انَّهُ نقَّح تفسير المزامير وتفسير الانجيل وكان الَّف الاول الاب بطرس ارتودي وعرَّب الثاني الاب بطرس فروماج اليسوعيان

نصرانيَّة اميَّة ابن ابي الصلت — روى صاحب الهلال في عدده السادس عشر سيرة اميَّة ابن ابي الصلت الشاعر الجاهلي (١ وختمها بقوله انهُ لم يجد في حياته ما يؤيد قول البعض في نصرانيته. وهو سهم صوَّبهُ الينا جناب الكاتب فاقتضى علينا ردُّهُ. نقول انَّ نصرانيَّة اميَّة بن ابي الصَّلت مَّما لا يمكن نكرانها وهذه براهيننا: (اوَّلًا) ورد في كتاب الاغاني وغيره انَّ اميَّة كان يتردَّد على الرهبان ويسمع اقوالهم (ثانياً) يُخبر انهُ كان يدخل بيع النصارى ويقيم فيها لمَّا كان يدخل بلاد الشام. (ثالثاً) يروى عنهُ انَّهُ كان يبحث في الكتب ويقرأ التوراة. (رابعاً) لا نجد في شعره اثرًا

١) نقل اكثرها من كتابنا «الشعراء النصرانية» دون ان يذكرهُ وقد فعل هذا غير هذه المرَّة ولو اراد ان نبيّن لهُ دعوانا لفعلنا

للترثّن وامادة الاصنام. (خامسًا) وفي شعره قسم كبير من اخبار العهد القديم كذكر الابوين الاوَّلين والطوفان وابراهيم الخليل وموسى الكليم الخ. (سادسًا) لهُ في وصفهِ تعالى من المعاني ما لم ترَ لهُ اثرًا الَّا في كتب النصارى. وقد روينا لهُ قصيدتين في مجاني الادب تُشعران بنصرانيَّتهِ فيهما من ذكر الآثار العلويَّة كالملائكة والجحيم والنعيم الخ ما لا يبقي ريبًا في نصرانيَّتهِ. ولدينا قصائد أُخرى وجدناها في مخطوطات اوربَّة العربيَّة تؤيد هذا القول. (سابعًا) كان اميَّة من جملة قوم اشتهروا في الجاهليَّة باسم الحنفاء. كثيرًا ما صرَّح عنهم كتبة العرب بكونهم من النصارى. امَّا قول الهلال انهُ لم يجد ذكر المسيح في شعر اميَّة فليس حجَّة كافية لانَّ ديوان اميَّة مفقود لا نعرف منهُ الَّا النزر القليل. ثم لو صحَّ قولهُ لاقتضى نكران نصرانيَّة غيرهِ ايضًا الذين صرَّح القدماء بنصرانيَّتهم مع اننا لا نجد في شعرهم ذكر الدين المسيحي ل. ش.

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة القس الفاضل جرجس منش الحلبي: ١ً هل كان ابو الفرج عبد الله المشهور بابن الطيّب يعقوبيًّا او نسطوريًّا. ٢ً هل كان القديس ماروثا اسقفًا على تكريت ام على ميَّافارقين. ٣ً ما اسم الكتاب الذي الَّفهُ المطران جرمانوس فرحات في المعاني والبيان

ابو الفرج ابن الطيب — القديس ماروثا — كتاب المعاني والبيان لابن فرحات

ج نجيب على (الاول) انَّ ابا الفرج عبد الله الشهير بابن الطيّب هو من كتبة النساطرة المبرَّزين كما ورد في المشرق (١: ٢٩٣) وقولهُ (٤: ١٠١) انهُ كان يعقوبيًّا هو سهو. نجيب على (الثاني) ان بعض المؤرخين وهموا فلم يفرقوا بين القديس ماروثا الشهير اسقف ميَّافارقين (مدينة الشهداء Martyropie) في الجزيرة الذي اشتهر في القرن الخامس في عهد ثاودوسيوس الصغير وماروثا اليعقوبي اسقف تكريت بين الموصل وبغداد الذي توفي في القرن السابع (سنة ٦٤٩). والليتورجيا المنسوبة للقديس ماروثا هي لماروثا اسقف ميَّافارقين ليس للاول. نجيب على (الثالث) انَّ اسم هذا الكتاب «بلوغ الارب في علم الادب» وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة

س وسأَلنا جنلب رزق الله الحائك: ما اصل السلام عليك ومتى شاعت هذه الصلاة على صورتها الحاضرة ولاي سبب يكرّر الكاثوليك هذه الصلاة مرارًا في المسبحة

صلاة السلام الملائكي

ج السلام الملائكي مركّب من ثلاثة اقسام قسمان منها أُخذا من انجيل لوقا من كلام الملاك لمريم العذراء وكلام نسيبتها اليصابات اليها. امَّا القسم الثالث فقد زادهُ البابا سلستينوس بعد المجمع الافسسي تقريرًا لما اثبتهُ آباء المجمع عن كون العذراء امًّا لله. امَّا تكرار هذه الصلاة في الورديَّة فذلك تلبيةً لامر البتول التي ظهرت في القرن الثالث عشر للقديس عبد الاحد واشارت اليهِ بهذه العبادة ردًّا لهرطقة الالبيجيين. ولهذه الصلاة منافع جمة بيّنها الحبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر في مناشير عديدة حرَّرها مدَّة عشر سنوات متوالية حضًّا للمؤمنين على ممارستها. وليس في تكرار هذه الصلاة ما يخلّ في عزَّتهِ تعالى لانَّ اكرامنا للعذراء عائد كلهُ الى الله الذي خلقها وعظَّم شأنها

س وسأل الاديب ميشل سماحة لماذا الجُثث المحنَّطة التي اكتُشف عليها في بلاد الشام لم تصبر على الزمان كجُثث المصريين القديمة

جثث المصريين المحنَّطة

ج انَّ علَّة ذلك طريقة التحنيط الذي كان يتَّبعها قدماء المصريين. اما هيئة التحنيط عندهم فقد كتب فيها حضرة الاب دي كوبيه فصلًا مطوَّلًا في كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين (ص ١٥٩—١٦٠). وقد وُجد في صيداء اجسام كانت محنَّطة على الطريقة الشائعة في مصر

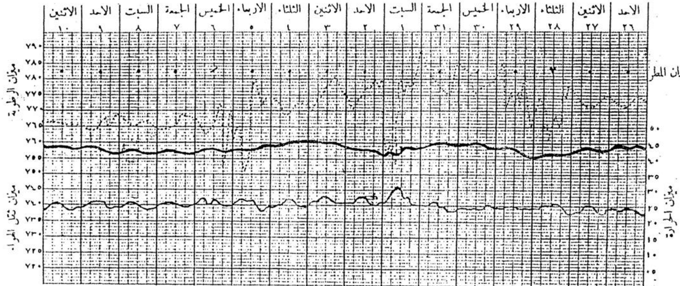
س وسأل حضرة القس اغوسطين بيروتي اللبناني: ١ كيف تتَّفق اقوال الكتاب في سفر الخروج (١٢: ٤٢) انَّ بني اسرائيل اقاموا في مصر ٤٣٠ سنة وفي التكوين والاعمال ٤٠٠ سنة وفي رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية (٣: ١٧) ٢١٥ سنة وكذا في الترجمة السبعينية

مدة اقامة بني اسرائيل في مصر

ج انَّ اقامة بني اسرائيل في مصر بلغت ٢١٥ سنة منذ دخول يعقوب وذريَّتهِ في ارض الفراعنة. امَّا ما ورد في سفر الخروج وغيره انهم اقاموا ٤٣٠ سنة فابتداؤهُ من سنة دخول ابراهيم في بلاد كنعان وارض مصر (تك ص١٢). والذين ذكروا ٤٠٠ سنة فاخذوا العدد جُزافًا بالتقدير ل. ش

(اصلاح غلط) ص ١٠١ س١٢ «اليعقوبي» والصواب «النسطوري» = ١٩٣ س١٢ «τέλος» ص «τηλε» بعيد = ٢٠١ س٢٢ «بقيض الحيوانات» ص «بقَنص» = ٢٠٣ س١٤ = ٢٠٦ س ٢٠ «وان توقرهُ» ص «فالتجأت الى ان تثقل على شعبها بالجبايات وان توقرهُ»

قائمة للآثار الجوّيّة   من ٢٦ أيار الى ١٠ حزيران   ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمّترات وعُشر المّترات